القسم الرابع

في تاريخ اميركا

الفصل الاول

في وصفها الجغرافي واخبار اهلها القدماء

اعلم ان قارة اميركا هي قسمٌ عظيم جدًّا من الكرة الارضية وهي الجزء الثاني من اجزاء الدنيا الخمسة. اما حدودها فمن الشرق الاوقيانوس الاتلانتيكي الذي يفصل بينها وبين قارتي افريقيا واوروبا. ومن الغرب الاوقيانوس الباسيفيكي وهو الفاصل بينها وبين اسيا. ومن الشمال البحر الشمالي. ومن الجنوب المحيط ايضًا. وعدد اهلها ٩٠ مليون نفس منها ٥٥ مليونًا في اميركا الشمالية وخمس ملايين في الهند الغربية و٣٠ مليونًا في اميركا الجنوبية

وهذه القارة قسمان اصليان يُعرَف احدهما باميركا الشمالية والثاني باميركا الجنوبية يفصلهما برزخ داريان الذي يبلغ عرضهُ بين ٣٠ او ٤٠ ميلاً. وبين اميركا واسيا من الجهة الشمالية الغربية مسافة وجيزة ينصل بينهما بوغاز بيرين او بهرين وهو بوغاز ضيق معظم طولهِ نحو ٣٠ او ٤٠ ميلاً وفي بعض الاماكن ١٨ ميلاً فقط. وقد انقسمت هذه القارة الى عدة اقسام كبرى منها ستةٌ في

اميركا الشمالية واثنا عشر في اميركا الجنوبية سنذكرها في محلاتها ان شاء الله تعالى . والحكم في هذه الاقسام من نوع الجمهورية ما عدا برازيل فانها سلطنة . وبين اميركا الشمالية واميركا الجنوبية عدة جزائر حسنة يقال لها جزائر الهند الغربية . واكثر هذه البلاد غنية بالمعادن الثمينة من ذهب وفضة وحديد ونحاس ورصاص وزئبق وغير ذلك . وفيها انواع الرخام والحجارة الثمينة كاللؤلؤ والزمرد والياقوت والماس . اما هواؤها فمختلف بحسب مواقع اجزائها في المنطقة الحارة او الباردة . فانهُ في شمالي اميركا الشمالية يشتد البرد بهذا المقدار حتى لا تنمو فيها الاشجار ولا ينبت بارضها نبات ويجمد بحرها من الجليد مدة تسعة اشهر فلا يمكن لمخلوق ذي حياة ان يسكنها حتى في الصيف ايضاً . ومن النوادر ان يرى فيها دبٌّ او رنه . ولكن كلما تقدمت جنوباً اعتدلت المنطقة بحيث متى وصلت الى الولايات المتحدة والاماكن التي تجاه خليج مكسيكو وباقي الاراضي الواقعة شمالي اميركا الجنوبية تجد اعتدالاً كاملاً وهواء لطيفاً كهواء الربيع والصيف . واذا تقدمت اكثر فاكثر نحو الجنوب يبرد الهواء ويطول فيها الشتاء حتى ان البلاد التي عند راس هورن يدوم شتاؤها مدة تسعة اشهر . اما حيوانات هذه القارة فكثيرٌ منها ما يوجد في بقية اجزاء العالم كالفيل والجمل والنمر والكركدن والاسد والنعام وفرس النهر والزرافة ومنها ما يندر وجودهُ او لا وجود له في باقي القارات كالجاموس البري والماعز البري والغنم البري والوعل وانواع كثيرة من الغزلان والقرود والدبابات والزحافات والطيور . وفيها ايضاً جبالٌ كثيرة وانهر عديدة اعظمها نهر امازون ونهر مسيسبي اللذان لا نظير لهما في باقي قارات الكرة . وبالاجمال ان هذه القارة كثيرة المحصولات وافرة الخيرات والغلال واسعة الاراضي والفلوات حتى لو زاد اهلها على عددهم عشرة اضعاف لكان لهم مكان ومعاش . واكثر سكان هذه القارة من نسل اهل اوروبا الذين هاجروا اليها بعد اكتشافها واستوطنوها . وفيها بعض من العبيد الذين جُلبوا اليها من افريقية وبعض من الهنود الاصليين الذين كانوا هناك

قبل اكتشافها

ولم تكن هذه القارة معروفة عند اهل العالم القديم حتى كشفها كريستوفورس كولمبوس سنة ١٤٩٢ للميلاد ووجد هناك يومئذٍ قبائل كثيرة في حالة التوحش يشبهون اهل الهند في اللون والصفات ولهذا سموا هنودًا . وقد اختلف العلماء في كيفية وصول هذه القبائل الى هناك اختلافًا كثيرًا ولهم في ذلك اقاويل عديدة فعلى حسب راي بعض المدققين ان اول من دخل قارة اميركا قوم الاسكيمو الذين يسكنون الجزء الشمالي من اميركا الشمالية وهم قومٌ من شمالي اوروبا سافروا اليها بسفنهم الصغيرة كما فعل النروجيون في الجيل التاسع وقت اكتشافهم جزيرتي ايسلاندا وكرينلاندا ولكنهم لم يستوطنوها . ومما يؤيد ذلك امتياز الاسكيمو عن هنود اميركا ومشابهتهم الكلية باللابلانديين في شمالي روسيا في اوروبا. اما دخول الهنود فليس هو الاَّ من اسيا التي كما تقدم القول تكاد تكون متصلة باميركا فلا يبعد ان قومًا من التتر في الاعصر السالفة اتوا اميركا من تلك الجهة القريبة كما يفعل اهل اسيا حتى الآن اذ يعبرون هذا المضيق بالقوارب. ويظنّ ايضًا ان اهل جنوبي اسيا قصدوا اميركا عابرين بالاوقيانوس الباسيفيكي ومنتقلين من جزيرة الى اخرى بسفنهم الصغيرة . ومما يؤيد صحة ذلك مشابهة هنود اميركا بعض القبائل من اسيا في الهيئة وبعض العوائد

وقد ظن البعض ان القرطجنيين اكتشفوا اميركا الشمالية وسكنوها ونقشوا بعض كتابات عند مونتي ڤيدبو ولكن حقيقة ذلك مجهولةٌ وبالاحرى هو وهمٌ لاصحة له ولكنهُ امرٌ محقق في هذه الايام ان الدنيماركيين الذين اتوا اولاً الى جزيرة ايسلاندا ثم الى كرينلاندا دخلوا ايضًا الولايات المتحدة سنة الف للميلاد تقريبًا ولم يسكنوها وبقيت اخبار دخولهم مطموسة الى حين اكتشاف كولمبوس القارة

الفصل الثاني

في اكتشاف اميركا من سنة ١٤٩٢ الى موت كريستوفورس كولمبوس سنة ١٥٠٦

انهُ بعد ان بقي نصف العالم الغربي احقابًا عديدة مجهولاً عند اهل العالم القديم ونحو خمسة عشر جيلاً للتاريخ الحديث ظهر اخيرًا بعناية الله رجل عجيب

كريستوفورس كولمبوس

كشف الحجاب عما استتر من دنيانا ادوارًا مستطيلة وهو كريستوفورس كولمبوس . وكانت ولادة هذا الرجل في مدينة جنوا سنة ١٤٤٥ ولما بلغ سن

الخمس عشرة سنة انتظم في سلك الملاّحين فمارس هذه المهنة واتقنها غاية الاتقان حتى فاق فيها على اقرانهِ وتعوّد الاسفار واقتحام الاخطار. فاتفق ذات يوم بينما كان في احدى سفراتهِ وقع بين سفينتهِ وسفينة قرصانية معركة قوية كانت الدائرة بها على سفينتهِ فالقى نفسهُ في البحر طالبًا النجاة وبيدهِ مجذاف واخذ في السباحة حتى قطع مسافة طويلة وبعد ان قاسى اهوالاً كثيرة التقاه برٌ على شواطي بلاد البورتوغال فسار قاصدًا عاصمة المملكة الى ان وصل الى مدينة ليسبون وكان لهُ يومئذٍ من العمر نحو ٢٥ سنة. فسكن في تلك المدينة وبعد مدة تزوج هناك بابنة قبطان بورتوغالي كان ابوها قد صرف زمانهُ في الاسفار فاكتسب منهُ كولمبوس فوائد كثيرة وبتكرار اسفارهِ الى جزائر البحار اصبح من احسن ملاّحي اوروبا واشهرهم. ولكن اذ كان هو وزوجتهُ في حالةٍ فقرية اخذ يشتغل في رسم الخارتات لاجل تحصيل معاشهِ

وبينما كان ذات يوم مهمومًا في رسم الخارتات انذهل متعجبًا عندما افتكر بالجهات المتسعة من الكرة الارضية التي لم يكن احد يعرف عنها شيئًا الى ذلك اليوم. ثم اخذ يحدث نفسهُ بقولهِ ياترى هل الارض مسطحة او كرة فاذا فرضنا انها مسطحة فاين تكون نهايتها وان كانت كرة فما هو حجمها فارتأى اخيرًا بعد البحث الدقيق والتأمل الكثير انها كرة وحكم باستدارتها وحجمها وقد استنتج ذلك عقلاً كما يستنتج كل حاذقٍ لبيبٍ أن اوروبا واسيا وافريقية ليست الاّ قسمًا من الكرة الارضية يلزم بالضرورة ان يوازيهُ قسمٌ اخر يقابلهُ. ومما زادهُ اقتناعًا وتوكيدًا على صحة افكارهِ ما كان يسمعهُ من ارباب الملاحة من الملحوظات والتخمينات في هذا الخصوص. من ذلك ان ملاّحًا بورتوغاليًا حدثهُ ذات يوم انهُ كان قد توغل في بعض اسفارهِ لجهة الغرب وقطع مسافة طويلة من البحر لم يقطعها احدٌ غيرهُ من اهل ذاك العصر فوجد قطعة خشب منقوشة وعائمة على وجه الماء تدفعها نحوهُ رياحٌ غربية فاستنتج كولمبوس من ذلك انها آتية من بعض اراضٍ مجهولة واقعة في تلك الناحية. ثم حدثهُ اخر انهُ شاهد

على سواحل جزائر اسورة اشجارًا مقلوعة قذفتها الامواج الى تلك الجهة عقب رياح غربية شديدة وبلغهُ ايضًا انهُ شوهد مرةً جثتا رجلين ميتين لا يشبهان اهل اوروبا وافريقية في هيئتهما. فهذه المعلومات مع ما استفادهُ من الملاحين الذين كانوا يترددون عليهِ بعد رجوعهم من اسفارهم البعيدة حققت لهُ وجود اراضٍ جديدة في العالم ذات غنى وبهجة مجهولة عند الناس

واذ كان لا بد لكولمبوس ان يستعين بمَن يمدهُ بالمال للوصول الى هذا الامر لاح بفكرهِ اولاً ان يجعل فخار ذلك المشروع عائدًا لوطنهِ فسافر الى جنوا واعرض للحكومة ما في ضميرهِ ملتمسًا منها المعاضدة والامداد فلم يجبهُ المجلس الى طلبهِ وحسبهُ ضربًا من الجنون فارتد راجعًا الى ليسبون وعرض افكارهُ على ملك البورتوغال يوحنا الثاني فاجابهُ الى سؤالهِ وترحب بهِ الاَّ انهُ لما اشترط عليهِ كولمبوس ان يكون نائبهُ على تلك البلاد المزمع ان يكتشفها وان يكون لهُ عشر ايراداتها مكافاةً لاتعابهِ توقف عن الاجابة واحال روية ذلك الى عمدة خصوصية من علماء ليسبون لاجل النظر في هذه المسئلة فاستحسن بعضهم افكار كولمبوس لكنَّ الاكثرين رفضوها وحكموا بان ما ذهب اليهِ انما هو وهمٌ وهذيان

فلما لم ينجح كولمبوس لا في جنوا ولا في البورتوغال ذهب الى اسبانيا في اواخر سنة ١٤٨٤ ليعرض مشروعهُ على الملك فرديناند والملكة ايزابلَّة ومع انهما كانا يومئذٍ مشتغلين بقتال العرب وطردهم من اقطار البلاد قابلاهُ بكل انس وسمعا لهُ باصغاء ولذَّة ثم فوضا النظر في قضيتهِ الى معلم ذمَّة الملكة ايزابلَّة فاخذ يبحث ويستعلم ممن لهُ خبرة في ذلك ويستدعي كولمبوس لايراد ادلتهِ وبراهينهِ امامهم فمضى عليهِ خمس سنوات وهو يناقشهم ويبرهن لهم واخيرًا حكموا بما لا يوافق غرضهُ . فازداد بكولمبوس الحزن والقلق وعزم على التوجه الى انكلترا ليعرض افكارهُ على ملكها هنري الرابع فبعثهُ احد اصدقائهِ وكان رئيسًا على بعض الاديرة ومعلم ذمة الملكة ايزابلَّة سابقًا فبعث اليها بكتابٍ يلتمس بهِ الالتفات

المعظم الى مقصد كولمبوس . فاثر فيها كتابهُ واذعنت لرايهِ وارسلت تستدعيهِ اليها فنهض مسرعًا واتى غرناطة حيث كانت الملكة محاصرتها . ولما تمثل امامها اقنعها بحسن ذلك المشروع فطلبت حضور كولمبوس لمقابلتها فحضر حالاً واتفق وصولهُ في الوقت الذي انتصر فيهِ الاسبانيول على العرب . فعند اجتماع الملكة بكولمبوس سالتهُ عما يريد فاخبرها بما كان في ضميرهِ من ذلك الامر وقال اني التمس من عظمتكِ ان تاذني لي ببعض السفن لاكتشاف اراضٍ جديدة ذات ثروة وغنى واريد مكافاةً عن ذلك ان اكون نائبًا لعظمتكِ على ما اكتشفهُ من الاراضي والبلاد وان يكون لي عشر ما ينتج من تلك الاكتشافات . فاستعظم الوزراء وارباب الديوان هذا الطلب وحسبوهُ منهُ وقاحةً وجسارةً فطلبت الملكة من كولمبوس تخفيض ما طلبهُ فلم يقبل وخرج بغضبٍ من وسط الديوان فركب فرسهُ وارتد راجعًا الى الدير في بالوس قاصدًا السفر من هناك الى فرانسا

فانزعجت ايزابلّة من خروج كولمبوس على تلك الكيفية وخافت ان تخسر اسبانيا شرف ذلك الاكتشاف اذا تمّ فكاشفت زوجها عما لاح في خاطرها من هذا القبيل فقال لها ان الخزينة الآن في عسرٍ لكثرة الاموال التي انفقناها في الحروب مع العرب ولا يوجد فيها ما يقوم بصروف هذا المشروع . فاجابتهُ ايزابلّة قائلة اني اجري ذلك على نفقتي الخصوصية وسأرهن ما عندي من الجواهر والحلى واستحصل ما يلزم من النقود لهذا الامر . ثم ارسلت في الحال ساعيًا في اثر كولمبوس تستدعيهِ اليها فرجع واجتمع بها فتركت بهِ كثيرًا واجابتهُ الى ما كان قد طلبهُ من الشروط المذكورة وهكذا وضع فرديننذ وايزابلّة امضاهما في السابع عشر من شهر نيسان سنة ١٤٩٢ على المعاهدة التي عُقِدت بينهما وبين كولمبوس بهذا الصدد

وبعد عقد الشروط بين الطرفين صدر الامر الملكي للحكومة في بالوس بتجهيز سفينتين حربيتين مشحونتين بما يلزم من المؤونة والملاحين للسفر مع كولمبوس

الى حيثما اراد . وجهز كولمبوس سفينةً ثالثة على حساب صديقٍ لهُ اسمهُ مرتين الونزو . وكان جملة ما صرِف على هذه العمارة الحقيرة مايةَ الف فرنك . وفي اليوم الثالث من شهر آب سنة ١٤٩٢ سافر كولمبوس من ميناء بالوس وبعد اسبوع اشرف على جزائر كناري المعروفة بالخالدات التي تبعد نحو الف ميل عن اسبانيا وكان قد تعطَّل معهُ سفينة في اثناء الطريق فاقام في تلك الجزائر نحو ثلاثة اسابيع حتى جهَّز سفينة جديدة مكانها . ثم اقلع من هناك قاصدًا تلك الجهات ولما توغل في البحر وصار في وسط لجج المحيط انزعج الملاحون وخافوا خوفًا عظيمًا فاخذوا يتذمَّرون على كولمبوس ويلومونهُ على هذه المخاطرة . وكانت تذمراتهم تزداد يومًا بعد يوم وعزموا ان لم يرجع بهم الى اسبانيا أن يطرحوهُ في البحر ويتخلصوا منهُ . واما هو فكان تارةً يقوّيهم وينشطهم بالكلام ويعدهم ببلوغ المرام وتارةً يتهددهم . فلما طال الامر اشتد حنقهم عليهِ وصمموا على قتلهِ لينجوا من تلك البلية فلم يبلغوا منهُ مرامًا لان ثباتهُ وشجاعتهُ مع صبرهِ ولطفهِ جعلتهُ يسود عليهم ويقتادهم الى الطاعة

واتفق في مساء اليوم الحادي عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٤٩٢ بينما كان البحر هادئًا والنسيم رائقًا لطيفًا لمح كولمبوس في منتصف الليل نورًا سطع عن بعدٍ ثم اختفى حالاً فاندهش واخذ يقول في نفسهِ ما عسى ان يكون هذا النور وبينما هو مندهش حائرٌ ظهر لهُ النور مرةً اخرى . ثم بعد ذلك ببضع ساعات سمع صوتًا من السفينة المساة بنتا التي كانت تتقدمهم وقائلاً يقول البر البر . فما جاء النهار حتى اشرفوا على جزيرة بهية المنظر ذات انجار وغابات فكان النسيم اللطيف يهب عليهم من الشاطي حاملاً روائح الزهور العطرة . واذ كانوا قد ملوا وضجروا من مشقات المحيط واهوال لججهِ مدة اكثر من شهرين كان ذلك المنظر لديهم كمنظر الفردوس فالقوا مراسيهم واخذوا يسبحون الله رافعين اصواتهم بالشكر نحوهُ ثم بكوا من شدة الفرح والتعجُّب وبعد ذلك خرُّوا على اقدام كولمبوس وطلبوا منهُ الصفح والمسامحة على ما فرط منهم في حقهِ . ثم انهم

عند طلوع الشمس تقلدوا اسلحتهم وانزلوا القوارب فنشروا فيها الرايات الاسبانيولية وقصدوا البر وكانوا كلما دنوا من الشاطئ يزيدهم منظر الجزيرة بهجةً وفرحًا لاسيما منظر بيوت الاهالي الظريفة المتفرقة بين تلك الغابات الخضراء التي كسبتها الطبيعة باجمل حلاها . وعند وصولهم الى البر خرج كولمبوس اولاً رافعًا سيفهُ ثم جثا على ركبتيهِ ورفع عينيهِ نحو السماء وشكر الله تعالى على حفظهِ اياهُ وتكليل عملهِ بالنجاح فكان هو اول من وطئ من اهل اوروبا ارض الدنيا الجديدة

وقد سمّى كولمبوس هذه الجزيرة سان سلفادور ومعناهُ المخلص ثم رفع راية اسبانيا باحتفال عظيم على شاطئها وبعد ذلك حانت لهُ يمين الطاعة جميع من كان معهُ من الملاحين والاتباع . وبينما هم في سرورٍ وانشراح اقبل عليهم اهالي تلك الجزيرة وهم ينظرون اليهم متعجبين من بياض الوانهم وطول لحاهم ومن اسلحتهم اللامعة ورياتهم الحريرية . وكان اهالي هذه الجزيرة على جانب عظيم من اللطف وسلامة النية . فصرف كولمبوس واصحابهُ ذلك النهار بالطواف بين الغابات والاحراش وهم يتناولون من ثمارها الشهية ويتعجبون من مناظرها ثم ذهب بهم الاهالي الى منازلهم وترحبوا بهم غاية الترحب وكان عندهم ذلك النهار يوم عيد وفرح عظيم . ورأى كولمبوس اكثر سكان تلك المدينة يعلقون في انوفهم اقرطة من الذهب فسالهم عنها وعن الاماكن التي يستخرجونها منها فاشاروا لهُ الى جهة الجنوب . فاصحب معهُ جماعة منهم وسار قاصدًا تلك الجهة المذكورة فاكتشف على عدة جزائر صغيرة واراضي واسعة منها جزيرة كوبا فجال فيها وتعجب من خصب اراضيها لكنهُ لم يجد فيها من الذهب ما يشفي الغليل . فدلهُ اهلها على جزيرة ثانية في الجهة الشرقية تدعى هايتي فقصدها كولمبوس ووصل اليها في ٦ كانون الاول وسماها اسبانيولا ثم سماها الفرنساويون والانكليز بعد ذلك بسانت دومينيكو ولم تزل الى الآن تعرف بهذه الثلاثة الاسماء . واذ وجد كولمبوس عند اهالي هذه الجزيرة ذهبًا كثيرًا اقام عندهم بضعة ايام وبادلهم

على ذهبهم باشياء لا قيمة لها كاجراس وخرز ودبابيس ومسامير وما اشبه ذلك

ثم اخذ يطوف من جزيرة الى اخرى فانكسرت منهم سفينة ولم يبقَ معهُ سوى سفينة واحدة صغيرة لان الثالثة كانت قد انفصلت عنهُ عقب هذا الاكتشاف . فارتيك في امرهِ خوفًا من ان يكون رئيسها قد عاد الى اسبانيا ليكون اول مبلغ بنجاح مشروعهِ فكان ذلك سببًا لرجوعهِ الى اسبانيا بدون ابطاء . فترك في الجزيرة جماعة من اصحابهِ ليتعلموا لغة الاهالي ويستميلوهم اليهم وبنى لهم حصنًا من خشب السفينة المكسورة وحصَّنهُ ببعض المدافع ثم ودَّع اصحابهُ واصحب معهُ جماعة من اهالي البلاد وارتد راجعًا الى اسبانيا فوصل اليها بعد غياب سبعة اشهر واحد عشر يومًا. فالتقتهُ الملكة ايزابلة وزوجها الملك فرديناند بالترحاب والاكرام وسالاهُ ان يقص عليهما اخبار سفرتهِ فحدثهما بواقعة الحال وما جرى لهُ من البداءة الى حين رجوعهِ واراهما ما كان قد جاء بهِ من الذهب فتعجبا غاية العجب وسرَّا بهِ فرفعا منزلتهُ وقرباهُ اليهما . ولما شاع في اوروبا خبر نجاح مشروعهِ استعظمهُ الناس واستغربوهُ وكان ذلك موضوع بحثهم ليلاً ونهارًا

وبعد ان اقام كولمبوس مدة وجيزة في دار الملك استأذن الملكة بالرجوع الى اميركا ليقوم بحق اكتشافات جديدة فاذنت لهُ بذلك وجهَّزت لهُ سفنًا حربية لتكون في خدمتهِ وتحت طوع اوامرهِ . فاخذ معهُ كثيرًا من البضائع واللعب التي يعلم رواج سوقها بين الهنود واصحب معهُ بعض المبشرين لينذروا القوم ويهدوهم الى الديانة المسيحية . وكان عدد الذين دخلوا السفن المذكورة ١٥٠٠ نفس . وفي ٢٥ ايلول سنة ١٤٩٣ اقلع كولمبوس من ميناء قادس وفي ٢ من تشرين الثاني من السنة المذكورة اشرف على جزيرة لم تكن معروفة عندهُ بعد واذ اتفق ان يوم وصولهِ الى تلك الجزيرة كان يوم الاحد سماها دومينيكا ومعناهُ يوم الاحد وفي نفس ذلك النهار اكتشف ست جزائر اخرى وكان اهلها من

البرابرة الذين يأكلون لحوم البشر. وفي السابع والعشرين من تشرين الثاني وصل الى جزيرة اسبانيولا فلم يجد بها احدًا من الاسبانيوليين الذين كان قد تركهم هناك فاخذهُ العجب من جرى ذلك وعند خروجهِ الى البر وجد الحصن خرابًا . وكان السبب في ذلك ان الاسبانيوليين بعد ارتحال كولمبوس عنهم سلكوا مع الاهالي مسالك الظلم والجور فمقتوهم وكرهوهم وابادوهم عن اخرهم

فلما راى رفقاء كولمبوس ما كان من امر فقد اخوانهم اخذوا يشتمونهُ ويصفونهُ بالمكر والخداع فلكي يلهيهم بعث بقومٍ منهم الى داخلية الجزيرة لكي يبحثوا على معادن الذهب وشرع يبني عوض الحصن مدينة جديدة صغيرة وسماها باسم الملكة ايزابلة وبعد ان فرغ من ذلك مرض مرضًا شديدًا كاد يموت بهِ. ولما شُفي اخذ يطوف مقابل شطوط جزيرة كوبا حتى وصل الى جزيرة جامايكا فمنعهُ اهلها عن الخروج فخرج قهرًا عنهم واذ لم يجد فيها ذهبًا انثنى راجعًا الى كوبا . ثم طاف مدة خمسة اشهر واكتشف عدة جزائر وبعد ذلك عاد راجعًا الى جزيرة ايزابلة فلما وصل اليها وجد ان جماعة الاسبانيوليين قد اثاروا حروبًا كثيرة مع قبائل الهنود واذلوهم واستعبدوهم معاملين بئس المعاملة

وكان قد رجع الى اسبانيا بعض رفقاء كولمبوس فوشوا بهِ الى الملك والملكة وتكلموا عنهُ بما لا يليق حسدًا وبغضًا . فبعثا من طرفهما سفراء لاجل الفحص والتحقيق عن ذلك وعند اجتماعهم بكولمبوس عاملوهُ بعنف وقساوة فالتزم ان يرجع الى اسبانيا لكي يبرّئ نفسهُ من تهمهم وعند وصولهِ دخل الى الملكة واقنعها ببطل ما اتهمهُ بهِ اعداؤهُ . ثم جهزت لهُ سفنًا اخرى فعاد بها الى اميركا وهي السفرة الثالثة . وبعد ان جال جنوبي القارة ليتحقق أجزيرة هي ام لا رجع الى ايزابلة في هايتي في ٣٠ اب سنة ١٤٩٤ فوجدها في اسوإ حالٍ لان قومهُ الاسبانيوليين بسبب الحروب التي اثاروها على الاهالي حوّلوا تلك الجنّة العدنية الى قفرٍ تقريبًا وامسى الفريقان في انحس حالٍ

وسنة ١٥٠٠ وشى بكولمبوس بعض مبغضيهِ مرةً اخرى الى حكومة اسبانيا

فارسلت مأمورًا من العائلة الملكية لينظر في تلك التشكيات ورخّصت له في عزلهِ والتولي مكانهُ ان وجد مذنبًا . واذ كان لذلك المأمور كل الصالح في تخنيج كولمبوس لم تعسر عليهِ الوسائط لتذنيبهِ فامر بوضع الحديد في رجليهِ وارسلهُ مقيدًا الى اسبانيا . فلما بلغ فرديننذ وايزابلة ما لحق بكولمبوس من الاساءة والاهانة غضبا لذلك وامرا بفكهِ من الاغلال . وعندما استحضراهُ اليهما واثبت براءتهُ لدى الديوان امرا بعزل المأمور المذكور عن ولاية تلك البلاد ولكنهما لم يعيدا كولمبوس الى منصبهِ بل اقاما مكانهُ نقولادي وندو سنة ١٥٠١

ولكن مع كل هذه المظالم والتعديات لم تفتر همة كولمبوس عن مداومة الاكتشافات بل شرع سنة ١٥٠٢ في رحلة رابعة فكانت مشومة عليهِ وقاسى بها من المتاعب والاضطرابات ما تعجز الاقلام عن استيفائهِ فالتزم ان يرجع الى اسبانيا بعد غياب سنتين وعند وصولهِ اليها بلغهُ وفاة الملكة ايزابلة فانقطع بموتها ما كان يؤملهُ من مساعدتها وامدادها . ولما كان زوجها فرديننذ لا يلتفت اليهِ زادهُ ذلك همًّا وغمًّا . وانتهى الحال بموتهِ سنة ١٥٠٦ وهو في حالة الفاقة وله من العمر سبعون سنة وبعد ان دُفن في مدينة اشبيلية نقلهُ الاسبانيوليون الى اميركا وما زالت بقاياهُ موجودة الآن في مدينة هافانا في جزيرة كوبا . فاين عيناهُ لتنظرا ما وصلت اليهِ الآن تلك البلاد الزاهرة وتلك الشعوب المتمدنة وتنسيا تلك المخاطر والمناظر المريعة التي صادفتاها وذلك السهر الذي حرّم اجفانهما لذيذ النوم سنين عديدة

اني رايتُ وفي الايام تجربةٌ
للصبر عاقبة محمودة الاثرِ
وقلَّ من جدَّ في امرٍ يحاولهُ
واستصحب الصبر الّا فاز بالوطرِ

الفصل الثالث

في مداومة اكتشافات الاسبانيوليين وسبب تسمية القارة اميركا الى حين اكتشاف مكسيكو

وكان لما راى الاسبانيوليون نجاح ما شرع به كولمبوس حسدوهُ وصار لهم رغبة عظيمة للتوجه الى تلك الاماكن فالتمسوا من الملك ان ياذن لهم بالسفر على نفقة انفسهم ليكتشفوا ما بقي هناك من البلاد المجهولة فاذن لهم واخذ يسافر الواحد بعد الاخر بدون رضى كولمبوس. وكان اول من سافر رجلٌ يُقال لهُ الونزو احد رفقاء كولمبوس في سفرتهِ الثانية فسافر من اسبانيا سنة ١٤٩٩ وبرفقتهِ رجل من اعيان فلورنسا يسمى اميريكوس فسبوسيوس وكان ذا معرفة وخبرة بعلم سلك البحر. فلما رجع اميريكوس الى اوروبا ألف كتابًا ضمَّنهُ الحوادث التي وقعت لهُ في هذا السفر وسلك في تاليفهِ مسلكًا حسنًا ونسب بهِ لنفسهِ فخر ذلك الاكتشاف فكان اول تخطيط اشتهر في وصف العالم الجديد. فاخذ الناس من ذلك العهد يتعودون رويدًا رويدًا على تسمية العالم المذكور باسم اميريكوس مع انهُ كان يجب ان يسمى باسم كاشفهِ الحقيقي. وفي سنة ١٥٠٠ وصل البورتوغاليون الى بلاد برازيل فاستولوا عليها وهي باقية الى الآن في ايدي عائلة ملوك البورتوغال!

وكان لما وُشي بكولمبوس المرة الثانية ان الملكة ايزابلة ارسلت واليًا من طرفها على جزيرة اسبانيولا يقال لهُ اوفاندو فكان ذا همة ونشاط واسس عدة مدن في اكثر جهات الجزيرة المذكورة وزرع في اراضيها مزارع متسعة من قصب السكر. وفي مدة قصيرة اصبحت هذه الزراعة معظم شغل اهل اسبانيولا وعلَّة

ثروتهم. الاَّ ان الوالي المذكور بقدر ما كان محبوبًا من الرعايا الاسبانيوليين نظرًا لحسن تصرفهِ معهم كان بعكس الامر مكروهًا من الهنود لسوء معاملتهِ اياهم. فلما بلغ ابزابلَّة جور الاسبانيوليين على الهنود صدر امرها برفع المظالم عنهم ومعاملتهم باللطف ولم يطل ذلك اذ ماتت هذه الملكة فادخلهم الوالي ثانيةً في الاسر والعبودية ومن جرى ذلك هلك بعضهم من الاتعاب الشاقة التي كانوا يكابدونها وبعضهم قتلوا انفسهم بايديهم ليتخلصوا من تلك الشقاوة. ومن ثمَّ صاروا يتناقصون على وجهٍ سريع ولم يمضِ عليهم ١٥ سنة حتى اصبحوا نحو ٦٠ الف نسمة بعد ان كانوا عددًا غفيرًا. وسنة ١٥٠٨ عُزِل ذلك الوالي واُقيم مكانهُ دون دييغ ابن كولمبوس حيث اثبت لنفسهِ وراثة حقوق ابيهِ فلم يأتِ هذا التغيير بنتيجة حسنة للهنود بل لم تأتِ سنة ١٥١٦ الاَّ وتناقص عددهم الى ١٤ الفًا فانتصر للهنود جملة من الاسبانيوليين والمرسلين الذين حضروا من اوروبا لتبشير الاهالي وتنصيرهم واعترضوا الحكومة في ذلك الامر المنكر وكتبوا الى الدولة في مادريد يعلمونها بواقعة الحال فلم تلتفت الى اقوالهم

وبينما كان اهل الرافة والشفقة ينتصرون للهنود بدون نتيجة كان لا يزال الاسبانيوليون مستمرين على اكتشافاتهم. ففي سنة ١٥٠٨ توغَّل جوان پونس دي لبون في جوانب جزيرة پورتوريكو واستعبد اهلها وعاملهم كما عامل رفقاؤهُ اهل اسبانيولا فلم يمضِ عليهم الاَّ زمن قليل حتى انقرضوا واضمحلوا بالكلية. وفي اثناء ذلك طاف سيباستيان اوكمپو حول جزيرة كوبا وعلم انها ليست ارضًا قارة كما كانوا توهموها قبلاً. وفي سنة ١٥٠٩ طاف رجلان اخران كانا قد اكتشفا في السنة الماضية اقليم يوكاتان الواسع مجالاً في اماكن عديدة حتى وصلا الى الدرجة الاربعين من العرض الجنوبي وعادت رحلتهما هذه بالمنافع على الاسبانيوليين اذ استنتجوا منها في شان امتداد اميركا فوائد كثيرة اصح مما كانوا استنتجوها سابقًا وعنَّ لهم عند ذلك ان يصنعوا لهم منازل ومستعمرات جديدة. وكان اول من انشأ مستعمرًا نونيز بالبوا في خليج داريان

وترأس عليهِ . وسنة ١٥١١ قصد دون دبيغ كولمبوس ادخال جزيرة كوبا تحت الطاعة وقلد رجلاً من اتباعهِ يدعى ڤيلاسكيز ادارة هذا المشروع . فلما علم اهل كوبا قدوم الاسبانيوليين اليهم نهضوا لمقاومتهم تحت راية رئيسهم هاتيوَي فهزمهم الاسبانيوليون وبددوا شملهم واسروا قائدهم المذكور وحكموا عليهِ بالموت حرقًا بالنار فربطوهُ الى عمودٍ وجعلوا تحتهُ الحطب . فبينما هو على تلك الحالة اذ وافاهُ راهبٌ فرنسيسكاني فاخذ يرغبهُ في الديانة المسيحية ويشجّعهُ على الموت ويطلب اليهِ ان يتنصر ويعدهُ بنعيم الفردوس ان مات مسيحيًّا . فقال لهُ ذلك المسكين هل في الفردوس الذي ذكرتهُ لي احدٌ من الاسبانيوليين . فقال لهُ الراهب نعم ولكن لا يدخلهُ الاَّ الاخيار الصالحون فقط . فاجابهُ الهندي قائلاً وهل بين الاسبانيوليين صالحون ان هذا من المستحيل واما انا فلا اريد قط ان اذهب الى مكانٍ يجمعني بواحدٍ منهم ثم مات وهو في لهيب النار . فمن هنا نرى درجة كراهية سكان اميركا للاسبانيوليين

وسنة ١٥١٢ سافر پونس دي ليون بقصد الاكتشاف فلما جاوز جزائر لوكايس قصد الجهة الجنوبية الشرقية واكتشف جزءًا من ارض القارة الشمالية فسماهُ فلوريدا . وكان قد بلغهُ من بعض الهنود ان بقرب خليج بهاما في احدى جزائر لوكايس المذكورة عينَ ماء كل من اغتسل فيها من ذوي الامراض شفي حالاً وان كان شيخًا عاد شابًّا . فصدق پونس هذه الخرافة واستمر مدة طويلة وهو يطوف ويبحث عن تلك العين ولكن مع ان تفتيشهُ كان على اوهام خرافية نتج عنهُ منافع جسيمة وهي معرفة خليج بهاما على وجه حقيقي فان الملاحين بعد ذلك اخذوا في سلوكهِ الى اوروبا

وسنة ١٥١٣ بلغ بالبوا حاكم داريان من احد مشايخ البلاد انهُ على مسيرة ستة ايام لجهة الجنوب يوجد محيط آخر يكتنف ولاية عظيمة يكثر فيها الذهب حتى ان اهلها يستعملونهُ في الاشياء التي لا طائل تحتها . وكان هذا الخبر اول دليل للاسبانيوليين على وجود پيرو فبادر بالبوا لتاكيد ذلك وسار

من يومه بمثني رجل ولم يبالِ بكل الصعوبات التي حالت دونهُ ودون المرغوب . وما برح يتوغل في مسيرهِ حتى اشرف على الاوقيانوس الجنوبي واستولى على اطراف شطوطهِ وتحقق من هنود هذا الساحل انهُ يوجد على البعد من الساحل المذكور في الجهة الشرقية مملكة قوية غنية فصمم على افتتاحها ولكنهُ لم يجسر ان يقتحمها في شرذمةٍ قليلة من الجنود بل أخَّر ذلك الى وقتٍ آخر وارتد راجعًا الى سنت ماري كرسي ولايتهِ وبعث الى اسبانيا يخبر الدولة في ذلك الشان طالبًا الامداد لانجاز هذا المشروع . فبعثت الدولة عمارة بحرية مشحونة بالمهمات والعساكر تحت لواء بدرارياس وقلدتهُ حكومة داريان . وسنة ١٥١٥ سارَ جوان دياز بجانب اميركا الجنوبية وتوغل في تلك الاطراف حتى اشرف على مصب ريو دولابلاتا وهو نهرٌ عظيم من هذا الجزء فقتلهُ الهنود الذين ياكلون لحوم البشر وقتلوا ايضًا بعض اصحابهِ فارتد من بقي منهم الى اوروبا ولم يتمدوا في استكشافاتهم اكثر من ذلك خوفًا من العواقب . وسنة ١٥١٨ اكتشف الاسبانيوليون بلاد المكسيك ولزيادة الايضاح سنفتح لها فصلاً مخصوصًا

الفصل الرابع

في الاستيطانات الاوروبية

ولما انتشر في اوروبا خبر اكتشاف العالم الجديد والمكاسب التي كان الذاهبون اليهِ يحصلون عليها اخذ الناس يهاجرون اوطانهم ويقصدونهُ افواجًا افواجًا ويبنون لهم مستعمرات ويستوطنون فيها . فكان اشهر من قصد تلك القارة بعد الاسبانيوليين الفرنساويون والبرتوغاليون والانكليز والفلمنكيون

واول قسم استوطنوهُ سواحل اميركا الشمالية . فان احد الفرنساويين المدعو جمس كارتيا كان اول من اكتشف بوغاز ونهر مارلورنس سنة ١٥٤٣ فبنى هناك قلعة عظيمة واقام فيها مع جمهور من قومهِ ثم انضم اليهم بالتدريج جماهير كثيرة من فرانسا فاخذوا يمتدون ويجولون في تلك الاراضي والاقاليم الواسعة حتى توصلوا الى كاندا وسكنوها ثم الى اسكوتسيا الجديدة واستولوا على جميع اراضيها وبنوا لهم فيها ابنية وحصنوها . وسنة ١٦٠٨ شرعوا في تأسيس مدينة كويبك وبنوا فيها قلعة عظيمة وحصنوها بالسلاح والمدافع فاصبحت احصن مستعمرات اميركا . وعلى نمادي الاوقات صار لهم املاكٌ واسعة وكانت فرانسا ترسل من طرفها والياً مخصوصاً لادارة احكام املاكها ورجالها . وكان الفرنساويون في وداد ومحبة مع سكان اميركا الاصليين فكانوا يتزوجون من نسائهم ويتعاملون معهم في التجارة ويجنون خيرات بلادهم ويشترون منهم الفراء الثمينة بابخس الاثمان ويرسلونها الى اوروبا فيربحون فيها ارباحاً جسيمة

اما الانكليز فلم يبتدئوا ان يهاجروا الاَّ في اواسط الجيل السادس عشر واول محل سكنوهُ مقاطعة فيرجينيا سنة ١٥٨٤ وهم الذين لقبوها بهذا الاسم ومعناهُ عذراء نسبةً الى ملكتهم اليصابات التي صرفت حياتها بدون زواج . ولكن لم يلبث هذا الاستيطان زمناً حتى اندثر بالكلية بسبب الامراض التي استحوذت على سكانهِ ولكنهُ تجدد ثانيةً سنة ١٦٠٧ بواسطة القبطان كريستوفر نيوپورت الذي هو اول من وضع اساساً لمدينة جمس تاون

وسنة ١٦٠٩ اكتشف نهر هدسون رجل انكليزي يدعى بهذا الاسم وكان يومئذٍ مستخدماً في مراكب الهلنديين فوقع النزاع بين الطائفتين من جهة النهر المذكور وكان كلٌّ من الفريقين يدعي حق الشفعة بهِ فلم يقع بينهما اتفاقٌ نهائي في اول الامر الاَّ انهُ دخل في حيز الانكليز فيما بعد . وسنة ١٦١٤ استولى الهلنديون على الاراضي المجاورة النهر المذكور واقاموا فيها ابنية فكان ذلك اساساً لمدينتي نيويورك والباني الحاليتين . اما نيويورك فدعوها امستردام نسبة

الى عاصمة بلادهم في هولاندا وبقيت في ايديهم الى سنة ١٦٦٤ حين تنازلوا عنها للانكليز بعد وقائع شديدة

وسنة ١٦٢٠ ذهب الى اميركا قوم من الانكليز الاتقياء مع نسائهم واولادهم وقسوسهم في مركبٍ يقال انهُ ميفلاور كانوا قد طُردوا من انكلترا بسبب اضطهاد ديني فاستوطنوا في الجهات الشمالية من البلاد المتحدة وبنوا لهم فيها اكواخًا وصاروا يتعيشون من الصيد والزراعة ولكن ليس بدون مشقات واكدار شديدة سواء كان من حالة الاحتياج ام من مقاومات الاهالي المتوحشين . ثم انضم اليهم شعوب اخرون من اهل الفاقة والاحتياج فاخذوا يمتدون في تلك البراري الشاسعة ويقيمون فيها الابنية المختلفة فاصبحوا في برهةٍ وجيزة اربعة جماهير غفيرة متفرقين في اربعة اماكن مختلفة الاول في پليماوث الثاني في ميساشوسس الثالث في كونكتيكوت والرابع في نيوهافن . وكان لكل من هذه المقاطعات حكومة خصوصية ولاربعهنَّ اتحادٌ واحدٌ ومجلسٌ عامٌ يجتمع فيهِ كل سنة نوابٌ من طرف المقاطعات الاربع المذكورة لاجل المفاوضة في ما يتعلق بخير الشعب وسنّ النظامات المقتضية لحفظ الراحة العمومية

ولما كان كارلوس الاول ملكًا على انكلترا وهب احد اشراف بلادهِ المدعو لورد بالتيمور اقليمًا من اراضي اميركا الشمالية فاتاها سنة ١٦٣٤ بمئتي نسمة من الانكليز الكاثوليكيين وعمروها وسموها ولاية ماري لاند اي ارض ماري نسبة لماري زوجة كارلوس المذكور . ثم سنة ١٦٨١ شرع رجل انكليزي يسمى وليم پن في عمار اقليم بنسلفانيا فاخذ يشتري من الهنود بعض الاراضي ويصلحها للزراعة ويقيم فيها الابنية حتى صارت في وقت قصير من المستعمرات المهمة وهكذا بالتتابع امتلات تلك الاقاليم بالعمائر والابنية المختلفة . ولكن لم يكن للانكليز سلمٌ في استيطانهم لان الفرنساويين والاسبانيوليين كانوا يقاومونهم اشد مقاومة ويظهرون لهم العداوة ويوقعون بهم الضرر اما جهارًا او بواسطة الاهالي . وكان الفرنساويون كثيرًا ما يتحدون مع الهنود على محاربتهم فيقتلون منهم ويأسرون

ويحرقون قراهم فكان ذلك يزيد العداوة المتأصلة بين الامتين ويضيف على الاحقاد القديمة البغض الشديد وروح الانتقام. وبالجملة كانت المنازعات بينهم متصلة دائمة والخصومات والحروب غير منقطعة فمن اراد الوقوف على اخبارها وتفاصيل احوالها فعليهِ بمطولات الاسفار

واذ كانت مدينتا كويبك ولويزبورك من احصن وامنع مستملكات الفرنساويين في اميركا كانت اعين الانكليز متجهة اليها لاسيما كويبك لانها كانت مفتاح كل ولاية كاندا. فقصدها سنة ١٦٣٢ السار دافيد كاير بجمهور من الانكليز وافتتحها فبقيت في ايديهم الى سنة ١٦٣٢ حين التزموا ان يرجعوها. وسنة ١٧١١ ارسلت الحكومة الانكليزية عمارة بحرية مع ٧٠٠٠ جندي تحت لواء الاميرال سار هاقندن والكر بقصد ضرب كويبك واستخلاصها من الفرنساويين. فلما وصلت السفن الى فم نهر مار لورانس وشرعت في الدخول غطاها ضبابٌ حالك حجب عنها ضوء النهار ثم هبت ريحٌ عاصفة عقب ذلك اثنت ثمانيًا منها على الصخور فكسرتها واتلفتها فاتى ذلك بخسارة جسيمة على الانكليز اذ فقد منهم في تلك الحادثة نحو الف شخص ما عدا خسارة المراكب وما فيها من المهمات والمؤونة والتزم الباقون ان يتوقفوا عن سيرهم لاخذ كاندا

وسنة ١٧٤٥ اجمع راي الانكليز على ان يستخلصوا من الفرنساويين مدينة لويزبورك الكائنة في راس بريتون فارسلوا اليها فرقة من الجنود يقودها رجل تاجر من مدينة بوستون يقال لهُ وليم پاپيريل صاحب دراية ونشاط ولكنهُ عديم الخبرة في فنون الحرب وابواب القتال. وكانت جنودهُ تجهل ايضًا امر الحرب لانها ماخوذة من وراء المحراث والات الصنائع غير معتادة على مواقف الاهوال فاحاطت بالمدينة وبعد مهاجمة خمسة عشر يومًا افتتحتها عنوةً ولكن بعد نهاية الحرب ارجعتها الى الفرنساويين ثم استخلصتها ثانيةً سنة ١٧٥٨ بمناظرة الجنرال وُلف

وفي السنة التالية زحف الجنرال وُلف المذكور بعساكرهِ لافتتاح مدينة

كوبيك فحالت عدة صعوبات بينهُ وبين اخذها نظرًا لمناعتها وارتفاعها وكثرة عدد محافظيها من داخل ومن خارج اذ كان بحسب امتلاكها امرًا مستحيلاً. ولكن اذ كان الجنرال وُلف من ذوي الشجاعة ومتعوّدًا خوض المعامع واقتحام الاخطار لم يدع تلك الصعوبات تمنعهُ من نوال المرغوب فعزم على فتح المدينة قوةً واقتدارًا ولو اضطرهُ الامر الى فقد حياتهِ وصمم على مهاجمتها. فصعد بجندهِ ليلاً الى جهةٍ مرتفعة وهناك اخذ مركزًا مساويًا لمركز المدينة وعند الصباح اقتحمها بعسكرهِ. فصدمهُ الماركيز مونتكالم بجيوش الفرنساويين واشتبك القتال بين الفريقين فكان يومًا عظيمًا اشتد فيهِ الويل من هجمات الرجال والابطال وسقوط الكرات والرصاص المتوالية. هذا والجنرال ولف في مقدمة صفوفهِ يشدّد الرجال بالكلام ويحثهم على الهجوم والاقتحام. وكان قد جُرح في موضعين ولم يرضَ ان يفارق ساحة المعمعة حتى أُصيب برصاصةٍ ثالثة فالقتهُ طريحًا على الارض. ولما يئس من السلامة حملهُ العسكر الى مضربهِ وبينما كان في ألم شديد وهو على اخر رمق سمع رجلاً ينادي ويقول انهزموا انهزموا فسال من هم الذين انهزموا اجابهُ احد القواد وقال الفرنساويون فرُّوا وانهزموا ونحن انتصرنا وقهرنا فتبسم وظهرت على وجههِ علامات الفرح وقال اني اموت الان مسرورًا ثم اسلم الروح. وهذا السرور نفسهُ شمل الماركيز مونتكالم ايضًا لانهُ كان قد أُصيب برصاصةٍ قاتلة ولعلمهِ بانتصار الانكليز قال وهو في حالة النزاع اني اموت فرحًا مسرورًا بحيث لا ترى عيناي تسليم المدينة. وبعد ذلك بايام يسيرة سلمت مدينة كوبيك للانكليز. وسنة ١٧٦٣ جرت معاهدة الصلح في باريس وتنازلت فرانسا للحكومة الانكليزية عن جميع ولايات كانَدا وعن جميع املاكها الشمالية وهي باقية الى الان تحت تسلطها

الفصل الخامس

في البلاد المتحدة الاميركانية

الباب الاول

في وصف البلاد المتحدة وذكر الاسباب التي هيأت انفصالها عن انكلترا

يحد هذه البلاد شمالاً الاملاك الانكليزية وشرقًا الاوقيانوس الاتلانتيكي وجنوبًا خليج مكسيكو وغربًا الاوقيانوس الباسيفيكي ومساحتها كمساحة قارة اوروبا تقريبًا وعدد سكانها بحسب تعداد سنة ١٨٦٠ بلغ ٣٣ مليونًا بما فيه الهنود الذين يبلغون ٣٠٠ الف نسمة تقريبًا واما الان فيؤكدون ان عدد الاهالي هو ٤٠ مليونًا. ولكن كثير من القسم الغربي من هذه البلاد اما مهجور او مسكون ببعض الناس المتفرقين بين قبائل الهنود. وكانت البلاد المتحدة تنقسم قبل الان الى ٣٤ ولاية واما في هذه الايام فهي ٣٤ ولاية متحدة اتحادًا واحدًا وهذه اسماؤها. الاولى مين. ثم نيوهمشير. ومساشوستس. وفرمونت. ورود ايلند وكونكتيكوت. ونيويورك. ونيوجرسي. وبنسيلفانيا. ودلاوار. وماريلاند. وفيرجينيا. وكرولينا الشمالية. وكرولينا الجنوبية. وجاورجيا. وفلوريدا. والاباما. وتنيسي. ومسيسيبي. ولويزيانا. وتكساس. وويسكونسين. وايوا. وميسوري. وايلينوي. واندیانا. ومشيكان. واوهايو. وكنتوكي. وارکانساس. وكليفورنيا التي

ظهر فيها معدن الذهب ١٨٤٨ ومنيسوتا . وكانساس . ولوريكون . ولكل من هذه الولايات حاكمٌ مخصوصٌ يقيمهُ الشعب بالانتخاب على مدة معينة ما عدا القضاة فانهم ينتخبون على مدة حياتهم ولا يعزلون الاَّ تحت تهمةٍ او ذنب. وجميع هذه الولايات متحدة اتحادًا عامًّا تحت نظارة رئيس عام ومجلسين كبيرين في مدينة واشنتون العاصمة يحضرها وكلاء الولايات المذكورة لتدبير امور البلاد والمخابرة في ما يتعلق بالعلاقات الاجنبية . وما عدا الولايات المار ذكرها اقاليم أُخر لم تدخل بعد في المعاهدة العمومية لقلة اهاليها ومقاطعة واحدة لها معاهدة خاصة بها يقال لها مقاطعة كولومبيا

وفي هذه البلاد كثيرٌ من الانهر العظيمة والترع الكبيرة والجبال المرتفعة ما لا سبيل الى ذكرهِ هنا . اما تربتها فجيدة وحواصلها كثيرة متنوعة . ومن اعظم واغنى نتائجها القطن والسكر والبن والحبوب المختلفة . وفيها كثيرٌ من المعادن اخصها الذهب فانهُ وُجد منهُ مقادير وافرة سنة ١٨٤٨ في ولاية كليفورنيا ولحد الان يقصدها الناس من جميع الجهات ويشتغلون في استخراجهِ

اما الديانة الغالبة في هذه البلاد فهي البروتستانتية. والعلوم فيها ناجحة الى الدرجة القصوى ووسائط التعليم كثيرة فان فيها عددًا كبيرًا من كل رتب المدارس . اما المطابع فيها فتكاد لا تُعدّ لكثرتها وبسبب ذلك تنازل اسعار الكتب والجرائد وتسهل وسائط التنوير . واما اهلها فيعدون من الرتبة الاولى في التنوير وحسن الصفات. ولهم رغبة شديدة في التقدم والنجاح وشهرة عظيمة في الحزم وقوة الجنان وهم بوجهٍ الاجمال من اهل اللطف يحبون السلام وخير القريب . ومما يستحق العجب تكاثر عددهم ونموُّهم الى الدرجة التي هم عليها الآن في وقت قصير اعني في اقل من ٢٠٠ سنة على ان عدد الذاهبين الى تلك البلاد من الانكليز والفلمنك والاسوجيين وغيرهم منذ ارتحالهم اليها الى وقت استقلالية البلاد لم يزد عن مليوني نسمة فيستبان ان تكاثرهم الى هذه الدرجة ليس من التسلسل او عقب الذرية بل من استدامة انضمام الناس اليهم ولاسيما

من الاملاك الانكليزية المجاورة لهم

اما الاسباب التي اوجبت الاميركانيين ان ينفصلوا عن انكلترا امهم فليست هي الاَّ جور العمال الانكليز والمظالم التي اجروها عليهم في تلك الاطراف . فلا يخفى انهُ عند ما كانت الاهالي في البلاد المتحدة وصار لهم فيها املاكٌ واسعة سواء كان بالشراء ام مما اكتسبوهُ في حروبهم مع الهنود قسم الحكم الانكليزي البلاد الى اقسام شتى وارسل اليها عمالاً ليقوموا باشغالها ويديروا اعمالها. فاخذ هولاء العمال يثقلون على الاهالي ويجورون عليهم حتى الزموهم ان يشكوا من سوء معاملتهم ويسترحموا من الدولة الانكليزية التخفيف عنهم فاجابت طلبهم وصدر حينئذٍ امرها بعزل اولئك الولاة وان ينصب غيرهم بانتخاب الاهالي بحيث يبقى للحكومة الانكليزية التسلط العام فلم يات ذلك بعظيم فائدة ولم يحصل الشعب من ذلك الامتياز الظاهر على راحةٍ بل بقوا على ما كانوا عليهِ من المتاعب والاثقال

وفضلاً عما تقدم لما رأت الحكومة الانكليزية نجاح الشعب وتقدمهُ في الثروة قصدت ان تقتطف منهُ بعض المكاسب لذاتها فسعت في ضرب المال على الاهالي. وكان اول شيء اجرتهُ انها اصدرت حكمًا مجلسيًّا سنة ١٧٦٥ لاجل استعمال الطوابع في البلاد المتحدة على جميع صكوك المبايعات والمضابط والمعاهدات وغيرها وان كلما كان محرر على ورق بغير طوابع يكون غير صحيح ولا يعمل بهِ واقامت اناسًا مخصوصين لهذا العمل وسلمتهم تلك الاوراق ليبيعوها للاهالي بالثمن. فانف الاميركانيون من ذلك جدًّا ورفضوا هذه الاجراءات واستعظموها ليس فقط هربًا من دفع ثمن الورق في المستقبل ولكن خوفًا مما سوف يحدث من المنازعات والدعاوي التي تصدر عليهم من جهة املاكهم المستولين عليها من مدات مستطيلة بحق وضع اليد من دون صكوك شرعية على اوراق اميرية . فلذلك عقد الاهالي جمعية عمومية في مدينة نيويورك استقرت اراؤهم فيها على عدم قبول ما شرع بهِ الحكم الانكليزي ثم قدموا معروضًا للملك ولمجلسي

الاشراف والعامة في لندن يسترحمون رفع تلك الضريبة ورفضوا من ساعتهم مشترى الورق المذكور وعاملوا من هو منوط في بيعه اسوأ معاملة . فالتزم حينئذٍ الحكم الانكليزي ان يبطل ذلك القرار

ولكن اذ كان لا بدَّ للدولة الانكليزية من ان تربط اهالي المستعمرات الاميركانية وتخضعهم لاحكامها لانهم رعاياها اصدرت قرارًا بالزام الاميركانيين الى دفع رسم جمرك على الشاي الوارد الى بلادهم وتشبثت في اجراء ذلك ولو بالقوة الجبرية . فلم يقبل الاميركانيون ايضًا بهذه الضريبة الجديدة واظهروا النفور وعدم الامتثال فالتزمت حينئذٍ الحكومة ان تستعمل القوة الغاصبة لاقيادهم الى الطاعة . فلما كانت سنة ١٧٧٣ اشرف على ميناء مدينة بوستن ثلاث سفن انكليزية مشحونة بالشاي . فنزل اليها ليلاً بعض الاميركانيين وهم متنكرون في زي الهنود والقوا كل ما فيها من الشاي الى البحر . فلما بلغ خبر ذلك الى انكلترا استشاطت الحكومة غيظًا وحنقًا من وقاحة اولئك القوم وعدم انقيادهم لاحكامها واذ رات ان تسلطها عليهم آخذٌ في الضعف والانحطاط عمدت على اخضاعهم بقوة الاسلحة . فارسلت جيوشًا وقوادًا لحربهم واذلالهم

الباب الثاني

في استقلالية البلاد المتحدة وحوادثها الى هذا اليوم

فلما راى الاميركانيون ما عزم عليه الحكم الانكليزي من ضربهم واخضاعهم اخذوا يتجهزون للقتال ويستعدون للنزال ودفع القوة بالقوة . اما الانكليز فانهم بعارتهم الحربية الى مدينة بوستن واذ علم قائد الجيش بان للاميركانيين بعض مدافع وادوات حربية في مكان يقال له كونكورد بالقرب من بوستن بعث ٨٠٠ جندي لاتلاف تلك التجهيزات . وعند وصولهم الى تلك الجهة نجحوا

بانلافها ثم التقاهم الاميركانيون وصدموهم صدمة قوية فهزموهم وارجعوهم الى المدينة بعد ان قتلوا منهم ٧٠ نفرًا وكان ذلك اول واقعة جرت بين الطرفين. ثم اخذ الاميركانيون يتجهزون باكثر نشاط وغيرة ويتجمعون حتى انهُ في برهة وجيزة بلغ عدد المتجمعين حول بوستن وضواحيها عشرين الف مقاتل. وفي الحال اجتمع ارباب الديوان العام في مدينة فيلادلفيا وعقدوا مجلسًا لاجراء التدابير اللازمة فاستقر الراي على مداومة الحرب وتحرير بلادهم من ايدي الانكليز فقلدوا الجنرال واشنتون وكان من شجعان الرجال في ادارة الحرب وولجوهُ بالمحاماة عن الوطن

الجنرال واشنتون

ولما كان مقصد الاميركانيين طرد الانكليز من بوستن صعدوا ليلاً على تلٍّ عالٍ يقال لهُ تل بنكر يكشف المدينة واخذوا فيهِ مركزًا محكمًا وشرعوا في

تحصينه واقامة المتاريس فيه . فقاومهم الانكليز اشد مقاومة وصعد اليهم ثلاثة الاف من العسكر ووقع بينهم قتال مريع ثم تداركت بينهم الحملات والهجمات بضرب السيوف وطعن الحراب فانتصر الانكليز في تلك الواقعة على الاميركانيين وطردوهم من ذلك المركز ولكنهم خسروا اكثر من ثلث جمهورهم. اما الاميركانيون فلم ينثنِ عزمهم من خسارتهم المركز المذكور ولبثوا مثابرين على المناضلة والمقاومة واقام الجنرال واشنتون القائد العام الحصار على بوستن بعد ان كان استولى على المستحكمات والقلع المجاورة لها. وفي ١٧ اذار سنة ١٧٧٦ التزم الانكليز ان يتركوا المدينة وينسحبوا الى مراكبهم بعد احراقهم اكثر الاساكل البحرية . وبينما كانت الحرب قائمة على قدمٍ وساق في هذه الاطراف من البلاد ارسل الجنرال كانيون فرقتين من العساكر تحت لواء بعض القواد لافتتاح كانَدا وضرب الانكليز هناك فلم ينجحوا في مشروعهم وفي اثناء مهاجمتهم مدينة كويبك قُتِل قائد جيشهم وتفرق شمل جنوده فرجعوا بالخيبة والفشل

ولما كان اليوم الرابع من تموز سنة ١٧٧٦ قرَّ قرار الديوان الكبير المنعقد في فيلادلفيا بوجوب استقلالية البلاد المتحدة وطرح نير الانكليز. فنادوا بالحرية بعد ان اخذوا عهودًا على معاضدة الجمهور في اتمام ذلك غير مبالين بالصعوبات والاخطار المحدقة بهم فنشروا رايات الحرب واستعدت جماهيرهم للقتال والنزال وانتشبت الحروب بين الطرفين حتى لم يعد سبيلٌ لاخماد نارها لان الاميركانيين كانوا قد صمموا على عدم الطاعة والانقياد لاحكام الانكليز مهما كلفهم ذلك . وكانت فرانسا واسبانيا وهولاندا نظرًا لما لهنَّ من البغض والنفور لانكلترا يحرّكنَ الاميركانيين على العصيان ويعدنهم بالمساعدة والامداد عند الحاجة واللزوم . فاستمرت الحروب بين الانكليز والاميركانيين مدة ثمان سنين متوالية وجرى بينهم عدة مواقع كبيرة وصغيرة يطول شرحها كان الفوز والانتصار في اكثرها للانكليز ما عدا واقعتين عظيمتين فانها خسرت بهما خسارة جسيمة وانتصر عليها الاميركانيون انتصارًا عظيمًا . اما الاولى فجرت في ساراتوكا سنة ١٧٧٧ وكان

قائد جيوش الانكليز الجنرال بوركون وقائد جيوش الاميركان الجنرال كينس اشتد فيها القتال وانتهى الامر بانحصار الانكليز في مراكزهم حتى لم يعودوا قادرين على الانسحاب فالتزموا ان يسلموا انفسهم للاعداء وكان عدد من قُتل وجرح وأُسر منهم نحو ٧٠٠٠ نفس . فهذا الانتصار انعش قلوب الاميركانيين وشدّد عزائمهم وجعل فرانسا تبعث جنودًا ومراكب لمساعدتهم . واما الواقعة الثانية فجرت سنة ١٧٨١ بين الجنرال واشنتون وبين لورد كورنواليس في مدينة يورك التابعة ولاية ڤيرجينيا حيث كان اللورد المذكور معسكرًا ومنتظرًا الامداد من المعسكر المقيم في نيويورك. فانتهز واشنتون تلك الفرصة المناسبة واظهر من التدابير ما يدلّ بان غاية قصدهِ مهاجمة نيويورك . فجعل ذلك واليها السار هنري كلنيتون يتأهب للمدافعة ويمتنع عن ارسال الامداد للورد كورنواليس فاتى ذلك بما رامهُ واشنتون . ولما تمّ لهُ ما اراد حوّل عنان عزمهِ بسرعةٍ غريبة الى مدينة يورك وبعد ان اختلط بعسكر فرانسا الذي كان قد حضر في السنة الماضية اقتحم جنود الانكليز وامسكت العمارة الفرنساوية عليهم فم نهر يورك لتمنع عنهم الامداد والذخائر فحصل بين الفريقين معركة هائلة وبذل اللورد كورنواليس كل الجهد في مدافعة العدو ومصادمتهِ فلم يجدهِ ذلك نفعًا والتزم اخيرًا ان يسلم في ١٩ ت ١ من سنة ١٧٨١ مع من معهُ من الجنود وكان عددهم سبعة الاف نفس. واستولى الفرنساويون على بارجتين حربيتين وعشرين سفينة وسقية مشحونة بالمهمات والذخائر

فهذه الضربة مع انها ألمت بالانكليز واضعفت امالهم لم تمنعهم عن مداومة القتال ولم تكن سببًا لانسحابهم من ميدان النزال لانهم لبثوا مثابرين على عزمهم بعد هذه الحادثة مدة سنتين من الزمان ناشرين الوية الحرب غير مبالين بخسائرهم ولا مقرين للاميركانيين باستقلاليتهم . ولم يكن امرًا صعبًا على انكلترا ان تستمر على تلك الحال زمانًا طويلاً في مقاومة اعدائها ومصادمتهم ولكنها اذ رأت من الجهة الواحدة ان التشبث في ذلك الامر لا يأتيها بالمرغوب لان

الشعب الاميركاني كان مصرًّا على المجاهرة والمناضلة تحت اية كلفةٍ كانت وان انتصاراتها عليهم في عدة مواقع مشهورة لم تكسبها الاَّ اراضي خربة ومستعمرات خالية من السكان . ومن الجهة الاخرى اذ كانت فرانسا واسبانيا وهولاندا متحداتٍ على محاربتها في اوروبا واسيا ومجتهدات في مقاومتها ونزع ما امكن من املاكها وسطوتها كان امرًا مستحيلاً على انكلترا ان تقابل اعداءها بقوة كافية في كل الجهات وتفوز عليهم جميعًا فلذلك عمدت حكومتها على ترك مشروع اخضاع الاميركانيين والانسحاب من تلك البلاد ففي صيف سنة ١٧٨٢ ابتدأت جنودها ان ترحل راجعةً الى اوطانها . وفي شهر ايلول من السنة المذكورة وقع الصلح في باريز وجرت المعاهدة بين الدول المارّ ذكرها على ان انكلترا ترجع لفرانسا اراضي السنيكال الكائنة في غربي افريقية وان ترجع لاسبانيا اقليم فلوريدا في اميركا الشمالية وان تقرّ باستقلالية البلاد المتحدة وعلى هذا الوجه انتهى النزاع وترك الاميركانيون اسلحتهم والتفتوا الى اصلاح بلادهم وترتيبها

وقد اشتهر الجنرال واشنتون شهرة عظيمة في اثناء محاربة الانكليز ليس فقط لبسالتهِ ودرايتهِ في فنون الحرب ولكن لتدابيرهِ الحسنة وثباتهِ وحسن مقاصدهِ لانهُ بحال انفكاك الحرب قصد اكثر جماهير الشعب الاميركاني ان يقيموهُ عليهم ملكًا فلم يقبل . وغب تقديمهِ دفاتر الحسابات والمصاريف للديوان اصرف القواد الذين كانوا تحت رياستهِ ثم اصرف نفسهُ ايضًا وانسحب الى منزلهِ . ومن اشتهر ايضًا في الحروب المذكورة ويعتبرهُ الاميركانيون اعتبارًا عظيمًا الماركيز لافايت وهو رجلٌ فرنساوي ذهب الى اميركا اذ كان عمرهُ ٢٠ سنة بفرقاطةٍ على نفقة نفسهِ واشترك مع الاميركان على حرب الانكليز واظهر من الخلوص والبسالة ما لا مزيد عليها ولم تحصر مساعدتهُ في تقديم ذاتهِ فقط ولكنهُ قدَّم من اموالهِ ما امكن للوازم الحرب . فكان الشعب الاميركاني ممنونًا لهُ بهذا المقدار حتى انهُ في سنة ١٨٢٤ عندما راقت البلاد واستراحت دعوهُ من فرانسا

لزيارتهم واحتفلوا بهِ احتفالاً عظيمًا واهدتهُ الحكومة مبلغًا مقدارهُ ٢٠٠ الف ريال مع قطعة ارض ثمينة في ولاية فلوريدا

ولما استقل الاميركانيون اخذوا يسعون في ترتيب حكومةٍ لبلادهم فنظم علماؤهم وقضاتهم سنة ١٧٨٩ الترتيب الجمهوري الحاليّ فجعلوهُ دستورًا لهم وقانونًا لشرائعهم . وكان اول من انتخبوهُ ليكون رئيسًا عامًّا لجمهوريتهم الجنرال واشنتون واقاموا جون ادامس نائبًا لهُ فاتقنا واجبات مامورياتهما واصلحا احوال البلاد فزادت رغبة الاهالي بهما وانتخبوهما على اربع سنين اخرى . وفي سنة ١٧٩٤ انفتح باب النزاع ثانيةً بين حكومة البلاد المتحدة وانكلترا . وكان السبب في ذلك ان الاميركانيين كانوا يتعاملون مع الفرنساويين ويبيعونهم غلات بلادهم بينما كانت انكلترا مشتبكة في حرب معهم . فاغتاظت الحكومة الانكليزية من هذا القبيل ونسبت الى الاميركانيين الاشتراك مع اخصامها فاصدرت الاوامر لعمارتها البحرية ان تفتش كل المراكب الاميركانية حتى اذا وجد منها ما هو مشحونٌ بالحبوب تحجز عليهِ . فهذه المعاملة مع عدم تخلية الانكليز لبعض اماكن البلاد المتحدة مما كان يجب تسليمها وتخليتها للاميركانيين بحسب معاهدة سنة ١٧٨٣ اوجبت الحكم الاميركاني ان يحجز كل مراكب الانكليز الموجودة في موانيء بلادهِ مدة ثلاثين يومًا . فادّى ذلك الى الخصام والنزاع ولكن تُدورِكَ الامر بالمخابرات والمداولات وارسل الاميركانيون معتمدًا من طرفهم الى بلاد الانكليز فعقدوا مع حكومتها معاهدة تجارية فيها تجدّدت الحقوق والشروط التي من شانها ان تمنع بواعث النزاع

وسنة ١٧٩٧ توُفي الجنرال واشنتون في سن الثماني والستين وترك الحزن والاسف لجميع ابناء وطنهِ لانهم كانوا يحسبونهُ رئيسًا لاستقلاليتهم وابًا لجمهوريتهم . فانتخبوا مكانهُ جون ادامس الذي كان وكيلهُ ونائبهُ وجددوا انتخابهُ عند نهاية مدة الاربع سنين . ثم خلفهُ توماس جفرسون الذي اشتهرت مدتهُ بشتراهُ من فرانسا ولاية لويزيانا الوسيعة بمبلغ خمسة عشر مليون ريال سنة ١٨٠٣

وسنة ١٨١٢ تعكرت السياسة ثالثةً بين الامتين المذكورتين وسبب ذلك ان انكلترا عندما كانت في ارتباكٍ عظيم من جهة افتتاحات نابوليون الاول وامتداد سطوة فرانسا في اوروبا كانت مجتهدة كل الاجتهاد في توقيف ذلك التقدم والنجاح حبًّا بحفظ الميزانية العمومية ولذلك اشتركت في اشهار الحروب ضدها . وكانت تجتهد بانتباهٍ شديد على توقيف كل ما من شانهِ ان يؤدي لتقوية عدوتها ولاجل نوال الغاية المذكورة كانت كلما عثرت مراكبها بسفينة اجنبية تطاردها وتفتشها فان وجدت فيها شيئًا من الامداد والمهمات المشبوهة تضع يدها عليها وتحجزها . فحدث يومًا ان البوارج الانكليزية التقت ببعض السفن الاميركانية فقبضت عليها وفتشتها وبعد ان اخذت ما ارادت منها اشتبهت في ان بعض الملاّحين هم من رعاياها فاخذتهم ايضًا ومنعتهم عن خدمة الاجانب ولم تلتفت الى تاكيد الاميركانيين بان اولئك الرجال هم اميركانيون ومولودون في البلاد المتحدة . فانف الحكم الاميركاني من هذه المعاملات وحسبها عارًا واهانةً في حقهِ وفي ١٨ حزيران من سنة ١٨١٢ اشهر الحرب على الانكليز وانتشرت راياتها وزحفت جيوش الاميركانيين على الاملاك الانكليزية التي في جوارهم واصطلت نيران القتال بين الفريقين ووقع بينهم عدة وقائع برًّا وبحرًا كان النصر فيها تارةً للفريق الواحد وتارةً للاخر . وقد اشتهر وقتئذٍ الاميركانيون في معاركهم البحرية لانهم انتصروا في اكثرها واما في الوقائع البرية فكان النجاح للانكليز لانهم استولوا على العاصمة الاميركانية واحرقوا ابنيتها الفاخرة بعد ان كانوا هزموا جمًّا غفيرًا من الجيش . واما الواقعة الاخيرة التي جرت بين الفريقين في ٨ ك ٢ سنة ١٨١٥ المعروفة بحرب نيو اورليانس فنال فيها الاميركانيون فخرًا عظيمًا اذ فازوا على اعدائهم وفتكوا بهم وهزموهم ولكن لم يحصلوا على مرغوبهم من جهة افتتاح كانادا . وبعد قليل وقع الصلح بين الامتين وتمت شروطهُ في كنت سنة ١٨١٥ وارجعت كل دولة منهما للاخرى ما كانت استخلصتهُ منها ولم يعد يقع بينهما قتالٌ ولا نزاعٌ من ذلك الوقت

اما الحكومة الاميركانية فاخذت بعد عقد الصلح المذكور في اجراء التدابير والتنظيمات الحسنة لاصلاح احوال البلاد وسعت في اقامة المباني والحصون وتوسيع دائرة التجارة والزراعة والصنائع وساعد على ذلك ميل الاهالي وجدّهم وحبهم للوطن . فاقيمت البنوك الكبيرة والشراكات التجارية وتأسست المعامل وانشئت الطرق الحديدية وغير ذلك من وسائط التقدم فانضم اليها اقليمٌ بعد اقليمٍ وولايةٌ بعد ولايةٍ حتى اصبحت البلاد المتحدة ٣٤ ولاية كما تقدم القول

وسنة ١٨٤٦ وقع الخصام بين البلاد المتحدة ومكسيكو من جهة اقليم تكساس الذي كان قد انضم للمعاهدة الاميركانية مع ان مكسيكو كانت تدّعيهِ لنفسها وتنكر على اهلهِ حق الانضمام للجمهورية . فانتهى الحال بوقوع الحرب بين الدولتين وتكافح الفريقان في عدة مواقع وانتصر الاميركانيون على المكسيكانيين ودخلوا عاصمتهم واذلوهم واخيرًا عقدوا معهم صلحًا بعد ان اخذوا منهم نيومكسيكو وكاليفورنيا بمبلغ ١٥ مليون ريال دفعوهُ لهم كرمًا وانعامًا خلافًا لعادة الامة الظافرة التي من اصطلاحها ان تغرم الامة المغلوبة وتضرب عليها المال . فهذه الحادثة تستحق بالحقيقة ان تورخ في بطون الصحف والتواريخ دلالةً على حسن صفات الاميركانيين وصفاء نياتهم

وسنة ١٨٦١ انتشبت الحرب الاميركانية الاهلية التي دامت نحو اربع سنوات وهُرِق فيها دماءٌ كثيرة . وسببها ان الحكم الاميركاني كان قد صمم على ابطال التجارة بالعبيد وملاشاتها من البلاد المتحدة فلم يوافقهُ على ذلك اهالي الولايات الجنوبية اذ كان لهم في تلك التجارة صوالح عظيمة فوقع النفور والخلاف بين الطرفين واستمرت المنازعة بينهما جملة سنين ثم انتهى الحال بانفصال احدى عشرة ولاية من ولايات الجنوب عن الجمهورية والانفكاك من عهودها فاشهروا ذلك علنًا واقاموا لانفسهم رئيسًا ونظموا قانونًا ودستورًا فلم تقبل بذلك الولايات الشمالية وحسبتهُ خرقًا للعهود . فاضطرمت الحرب بين الفريقين ثلاث سنين وانتهت بانتصار الشماليين على الجنوبيين واخضاعهم . وكان يومئذٍ رئيس

الجمهورية الاميركانية البرازيدنت لينكولن وكان رجلاً ممدوحًا ومحبوبًا من ابناء وطنهِ فحدث انهُ في ساعة الانتصار التام التي خمدت بها نيران الحرب دخل عليهِ رجلٌ مجنون وطعنهُ بسكينٍ قتلهُ بها

ومن روساء الجمهورية المشهورين الجنرال غرانت وهو من شجعان الرجال اشتهر في الحرب الاهلية السالف ذكرها موصوفٌ بالاستقامة وحسن الدراية انتخبتهُ الجمهورية سنة ١٨٦٩ ولحسن تصرفاتهِ انتخب ثانيةً عند نهاية مدتهِ الاولى

الفصل السادس

في وصف بلاد مكسيكو وتاريخها

يحد هذه المملكة شمالاً وشرقًا الولايات المتحدة الاميركانية وخليج مكسيكو. وغربًا البحر المحيط. وجنوبًا كواتمالا والمحيط ايضًا. وهي عريضة في الجهة الشمالية وضيقة جدًّا في الجنوبية. اما شطوطها فاكثرها واطية يخترقها من البر بعض خلجانٍ صغيرة. اما الشطوط التي الى جهة المحيط فهي واسعة جدًّا ومرتفعة اكثر من غيرها. وتخرق هذه البلاد سلسلة جبال صخرية. وفيها براكين كثيرة يبلغ ارتفاع بعضها نحو ٢٠ الف قدم. ويحدث فيها زلازل كثيرة. واراضي هذه البلاد جيدة ولكن قلما يعتني الاهالي بها ولذلك ترى اكثرها مهملاً. وفيها عدة بحيرات عظيمة واثار ابنية قديمة. اما هواؤها فجيدٌ في الاراضي المتوسطة واما في السواحل فيشتد الحر زمن الصيف وتكثر امراض الحميات. وفيها كثيرٌ من معادن الذهب والفضة والزئبق. وتقسم هذه المملكة الى ٢٧ ولاية. ومن

مدنها مكسيكو وهي كرسي الحكومة وتمبيكو وكيراتيرو وغير ذلك من المدائن . واهلها يبلغون بحسب تعداد سنة ١٨٦٨ فوق التسعة ملايين . والديانة العامة فيها هي الديانة الكاثوليكية . وحكمها الآن جمهوري . واهلها من الاسبانيوليين وبينهم اخلاطٌ من سكانها الاصليين

اما شعوب هذه البلاد قبل الاكتشاف فكانت مؤلفة من قبائل مختلفة اشهرها قبيلة الازتيكيين . وكانت بينهم عادة وحشية وهي تقدمات قرابين بشرية لالهتهم الوثنية . وكانوا يقتنصون بعضهم بعضاً في الحروب والمغازي فمن وقع في ايدي الاخرين ذبحوهُ ضحية ثم اخذوا لحمهُ وطبخوهُ وعملوا عليهِ وليمة عظيمة . قيل انهُ وجد في مكان كومة من جماجم المذبوحين على الكيفية المذكورة فأُحصيت فبلغت ١٠٠ الف جمجمة

اما تاريخها المعروف فيمتد من سنة ١٥١٨ فقط حينما اكتشفها القبطان يوحنا غريجالفا الاسبانيولي . ثم افتتحها الاسبانيول عن يد فرنند كورتيز في زمن الامبراطور شارلكان سنة ١٥١٩ بعد عدة وقائع جرت بينهم وبين اهاليها القدماء . وكان لما ذهب اليها كورتيز المذكور لم يكن معهُ من العسكر سوى ست مئة نفر وبعض مهمات حربية . وكان يومئذٍ مونتيزوما ملكًا على المكسيك فخاف من قدوم الاسبانيوليين واشتبه في كونهم بشرًا ام الهةً وتردد بين مقاومتهم او الاسترحاب بهم فاستصوب اخيرًا ان يتخلص منهم بالتي هي احسن . فارسل الى كورتيز هدايا فاخرة من جملتها هلال من فضة وشمس مذهبة وعدة برانس ثمينة مشغولة ومزخرفة بريش الطيور الجميلة واصحب هذه الهدايا بجانب من اثمار تلك البلاد وزهورها وطلب اليهِ ان يتحوّل عن تخومهِ ولا يقترب لعاصمتهِ . فهذه الهدايا بدلاً من ان تاتي بالمطلوب اهاجت طمع كورتيز وازالت مخاوفهُ وجعلتهُ يتصلب على عزمهِ . فكان يقول للمكسيكيين ان الاسبانيوليين طالبون ذهبًا لا هديةً وانهُ معتريهم مرضٌ في القلب لا يشفيهِ الاَّ الذهب

ثم ان كورتيز لشدة عزمهِ ولكي يقطع امل اصحابهِ من الرجوع احرق مراكبهُ

بالنار وتقدم باعوانهِ من مدينة ڤيراكروز الى العاصمة فاستقبلهُ الملك بالاكرام واضافهُ احسن ضيافة فغدر بهِ كورتيز وقبض عليهِ وسجنهُ . ولما مات في السنة التالية قام مكانهُ ابن اخيهِ كواتاموزين الذي وقع هو ايضًا في اسر الاسبانيوليين فعذبوهُ عذابًا اليمًا وبعد ذلك قتلوهُ واخضعوا البلاد

وبعد ان تم للاسبانيوليين هذا الافتتاح ارسل كورتيز يعلم الامبراطور شارلكان باستخلاصهِ تلك البلاد فصدر امرهُ بتقليدهِ حكومتها . فاقام في مدينة مكسيكو وجعلها كرسي الولاية ولما استقر لهُ الامر اخذ يرمم هذه المدينة ويقيم فيها القصور والحصون حتى اصبحت بالتدريج عروسًا بين مدائن العالم الجديد . وتسمت تلك المملكة من ذلك اليوم باسم اسبانيا الجديدة . وبقيت خاضعة لاحكام الدولة الاسبانيولية حتى استقلت تحت الحكم الجمهوري سنة ١٨٢٤ ولكنها لم تتوطد فيها الجمهورية كما يجب لانقسام اهلها الى احزاب عديدة

ثم حدثت فيها حروبٌ اهلية اضرت بها كثيرًا وكانت دائمًا في اضطراب وقلاقل لاختلاف الاحزاب . وسنة ١٨٤٥ تعكرت السياسة بينها وبين الولايات المتحدة وانتشبت الحرب بين الدولتين سنة ١٨٤٦ ودامت سنتين فانتصرت جيوش الولايات المتحدة في كل وقائعها وافتتحت جملة مدائن واخيرًا دخلت مدينة مكسيكو قوةً واقتدارًا . فاضطرت حينئذٍ دولة المكسيك الى المصالحة . وسنة ١٨٤٨ تقررت شروط الصلح فاخذت الولايات المتحدة منها الاراضي الكائنة شرقي ريوتورتي ومكسيكو الجديدة وكاليفورنيا الجديدة واعطتها في مقابلة ذلك ١٥ مليون ريال اميركاني

وسنة ١٨٦٠ بينما كان جوارز رئيس الجمهورية اجتهد بعض الاحزاب في اقامة سلطنة في المكسيك بدل الجمهورية ومن جرى ذلك وقع الاختلال في اطراف البلاد . ولما اشتد الحال انتخب لهُ وزيرًا من اهل الشرف والدراية ليكون لهُ معينًا ومساعدًا على توطيد حكومتهِ . ولكن اذ كانت المملكة يومئذٍ مديونة لانكلترا وفرانسا واسبانيا دينًا باهظًا وكان صندوق الجمهورية في عسرٍ

وضرورة الحال تحتاج الى ملافاة الامر وتدبير ما من شانهِ ان يسكت طلبات اصحاب الديون لم يتمكن جوارز من نوال اربهِ بحيث امست الحكومة في هرج واضطراب حينئذٍ كتب جوارز الى الدول المذكورة يطلب منها مهلةً ليتحقق مقدار الديون المطلوبة وهل في امكان الحكومة دفعها بالمقاسطة ام لا الا ان هذا الطلب لم يناسب ارباب الدين وحسبوهُ من باب المحاولة . فتشبثت حينئذٍ انكلترا وفرانسا واسبانيا على اجبار الحكومة لدفع الدين المذكور او انها تقدم لهم كفلاء مقتدرين في المال والشرف واذ كان الاوروبيون القاطنون في المكسيك يتشكون من ظلم الحكومة وجورها في معاملتهم وكان لنابوليون الثالث مقصد سياسي في ابطال جمهورية المكسيك واقامة الامبراطورية فيها اتفقت فرانسا وانكلترا واسبانيا على ضرب المكسيك بينما كانت الولايات المتحدة مشتغلة في محاربة الجنوب . ولكن بعد قليل استصوبت انكلترا الانسحاب من ذلك الاتفاق وتبعتها اسبانيا اما نابوليون فلم يثنهِ عمَّا شرع بهِ وارسل سنة ١٨٦١ العمارة البحرية مشحونة بالمهمات والجيوش الفرنساوية الى المكسيك تحت قيادة الجنرال بازين . فلم تنتصر الراية الفرنساوية كما كان يظن ولم يستولِ الفرنساويون الاَّ على بعض اساكل بحرية بعد خسائر جسيمة

فترتب حينئذٍ في المكسيك حكومة موقتة بدل الجمهورية . ثم اجتمع اشراف البلاد وعقدوا مجلسًا قرَّ رايهم فيهِ على وجوب اقامة سلطنة عوضًا عن مشيختهم . فوقع اختيارهم على الارشيدوك فردينند مكسيميليان شقيق امبراطور النمسا فارسلوا في ٣٠ نيسان سنة ١٨٦٣ سفيرًا من طرفهم الى الارشيدوك المشار اليهِ يطلبون منهُ قبول هذا الانتخاب فامتنع اولاً ثم اجابهم الى ذلك وسافر مع زوجتهِ الاميرة كارلوتة في بارجة نمساوية فوصلا في ٢٨ ايار سنة ١٨٦٤ الى مينا قيراكروز ومنها سافرا برًّا الى مدينة مكسيكو فاستقبلها الاهالي بالفرح والسرور ودخلا المدينة بموكبٍ عظيم

وكان هذا الامبراطور متخلقًا بجميل الاخلاق فلما تقلَّد زمام السلطنة

اشتغل بتنظيمها وحسن ترتيبها فاصلح قوانين الاحكام ونظم ادارة المالية وسياسة الملكية وبذل همتهُ في كل ما يأول لخير البلاد وباشر بعمل طريق حديديةٍ من مكسيكو الى مينا فيراكروز. ولكن مع كل هذه المشروعات لم تنجح مساعيهِ في بلادٍ نظير هذه خالية من المبادي الادبية والنظامات السياسية لكثرة تقلُّبات الاهالي وتحزباتهم. وكان جوارز لا يزال مجتهدًا غاية الاجتهاد في ان يعيد نفسهُ ثانيةً الى رياسة الجمهورية ولذلك لم يفتر طرفة عين من اثارة الفتن وتهييج الشعب على حرب الامبراطورية فانحاز اليهِ جمهورٌ غفيرٌ من الاهالي ومن جرى هذه الامور والحركات وقع الاختلال وتظاهرت الاحلاف وامست الامبراطورية في قلقٍ واضطراب. فلما راى مكسيميليان تلك الاحوال والتلاقل ناضل بعزمٍ ونشاط بمساعدة العساكر الفرنساوية واستظهر على بعض المدائن العاصية بعد حروبٍ شديدة. ولكن عند ذهاب الفرنساويين من مكسيكو سنة ١٨٦٦ ارسلت حكومة البلاد المتحدة الى جوارز رسولاً من طرفها تعدهُ بالمساعدة وتقرُّ لهُ بالرياسة ان ثبت على عزمهِ فقوي بذلك ظهرهُ واشتد ساعدهُ واشهر السلاح واجتمعت اهالي البلاد اليهِ من كل فجٍّ عميق

فاستعظم مكسيميليان هذا الامر وخاف من عواقبهِ ولذلك ارسل الامبراطورة الى اوروبا لتستعين بالدول الاوروبية على نجاتهِ من هذه الورطة. فاتت اولاً فرانسا وبذلت فيها غاية الجهد فلم تحصل على مرغوبها من نابوليون الثالث لان صوت الشعب كان ضدهُ من جهة فتح هذه الحرب التي لم تورث فرانسا فخرًا. ثم قصدت رومية واجتمعت بالبابا وطلبت منهُ المساعدة فلم تستفد شيئًا فضاقت عليها الدنيا بما رحبت ومن فرط همها وحزنها فقدت عقلها وخابت مساعيها

وكان مكسيميليان لما اشتد عليهِ الخطب وراى ان الامر لا ينتهي بدون حربٍ شديدة استعد للقتال وسار للاقاة العدو ولقد كان نجح وانتصر على خصمهِ لولا خيانة احد اركان حربهِ الذي اتفق مع الاعداء على مولاهُ وسلمهُ

ليلا اليهم فأُخذ اسيرًا وسقطت من ذلك اليوم الامبراطورية وعادت الجمهورية وسجن الامبراطور في صومعة في احد ادبرة الكبوشيين وكان محلاً قذرًا ففاسى في مدة سجنهِ متاعب كثيرة . ولما يئس من السلامة كتب الى اخيهِ الامبراطور فرنسيس يوسف والى انكلترا وفرانسا ورومية يعلمهم بواقعة الحال ويطلب منهم المساعدة بنجاتهِ فبذلوا جميعًا مساعيهم ادبيًا لتخليصهِ فلم يجدِ ذلك نفعًا . واخيرًا حكم عليهِ بالقتل . وفي ١٩ حزيران سنة ١٨٦٧ قتلوهُ رميًا بالرصاص مع اثنين من قوادهِ في مدينة كوارترو . وبعد مكسيميليان عاد جوارز فاستولى رياسة الجمهورية وبقي في الرياسة الى ان توفي سنة ١٨٧٢ فجأةً . وكان هذا الرجل قبيح الصوت كبير الراس قاسي القلب . وكان في اول امرهِ مستخدمًا عند احد المشرعين فتعلم عندهُ علم الشريعة حتى اتقنهُ وبهذه الواسطة ارتقى الى درجة القضوية في العاصمة . ثم سمّي معاونًا لرئيس الجمهورية . وبعد هزيمة كومون فورت سنة ١٨٥٨ استلم رياسة الجمهورية رغمًا عن مقاوميهِ

الفصل السابع

في الكلام عن الهند الغربية

اعلم ان الهند الغربية عبارة عن ارخبيل يتضمن نحو ست مئة جزيرة كبيرة وصغيرة واقعة في الفسحة الكائنة بين اميركا الجنوبية واميركا الشمالية . ويقسمها الجغرافيون الى ثلاثة اقسام فيسمون الاول جزائر بهاما والثاني جزائر انتيل والثالث جزائر كاريبي . وكثيرٌ من هذه الجزر لا بل اغلبها وعرة صخرية خالية من السكان وما هو عامرٌ منها هو في ايدي الاوروبيين ما عدا الجانب الغربي من سكان دومينكو فانهُ مستقلٌ بذاتهِ تحت حكم جمهورية هايتي . وهذا

بيان املاك الدول الاوروبية من جزائر الهند الغربية

الاملاك الاسبانيولية

كوبا . وبورتوريكو . والجانب الشرقي من سان دومينكو وكلٌّ منها تحتوي على عدة مدن ومقاطعات وعدد سكانها يبلغ نحو مليون وسبع مئة الف

الاملاك الانكليزية

جامايكا . جزائر بهاما . جزائر فرجين . باربودا . ماركريستوفر . انتيكوا . مونتسرّات . دومينيكا . مارلوسيا . مارقنسان . باربادوس . غرينادا . توباغو . ترينيداد وغيرها. وعدد سكانها يبلغ نحو ٩٥٠ الفًا

الاملاك الفرنساوية

كوادلوب . ومارتينيك وملحقاتها . وعدد سكانها ٢٩٣ الفًا

الاملاك الهلندية

كوراسوا . بونير . وآروبا وغيرها . وعدد سكانها نحو ٢٣ الفًا

الاملاك الدنيماركية

سان توماس . سانتاكروز . سان جان . وعدد سكانها نحو اربعين الفًا

املاك اسوج ونروج

سان بورتولومبد وفيها ٧٠٠٠ من السكان

واغلب سكان هذه الجزر هم من جنس العبيد الذين اتى بهم الاوروبيون من افريقية لاجل خدمة الارض ومزروعاتها . ومع ان الدولة الانكليزية ابطلت الاتجار بالعبيد في سائر املاكها بعد ان حررت ما كان منهم تحت تسلط رعاياها وسعت في اقتياد باقي الدول الى هذا الفعل الجميل لم يزل في هذه الجزائر وفي اماكن من اميركا الجنوبية عددٌ كبيرٌ منهم في حالة الاسر بايدي الاوروبيين يستخدمونهم في حراثة الارض وزراعتها ويعاملونهم معاملة القساوة التي ينفر منها الطبع البشري

اما هواء هذه الجزر فهو حارٌ جدًّا حتى ان فصول السنة فيها تُعَدّ كايام الصيف وذلك لعدم وقوع الثلج والمطر . وتربتها جيدة بهذا المقدار بحيث ان اشجارها لا تعرى واثمارها لا تنقطع . ومن نتائجها قصب السكر ويستخرجون منهُ السكر والدبس ثم اللبن والقطن والنيلة والتبغ والجوز الهندي والليمون والبرد قان والكباد والتين والموز والصنوبر وجوز الطيب والفلفل وانواعٌ كثيرة من البهار اخصها القانيل المعروف بالخرنوب الاميركاني يستعملونهُ كثيرًا في الحلويات الافرنجية لرائحتهِ وغير ذلك من الاشجار والنباتات التي لا يسعنا ذكرها . وفي بعض هذه الجزر شجر الخبز واثمارها اشبه بالخبز وهي من المغذيات القوية . وفي احراشها كثيرٌ من الاخشاب المتنوّعة الاجناس منها ذات قيمة كالخشب المعروف بالماهوكاني . وفيها اجناسٌ من الطيور الظريفة وانواعٌ من القرود والافاعي المضرة . ويكبر فيها الضب بحيث شوهد منهُ ما طولهُ ذراعان ونصف

وهذه الجزائر هي التي جاء اليها كولمبوس اولاً فان اول جزيرة اكتشفها هي ما سماهُ سان سلفادور المسماة الآن جزيرة كات ثم كوبا وسان دومينكو . وقد ذكرنا كيف استولى الاسبانيول على اعظم هذه الجزائر وكيف كانت معاملتهم للاهالي والقساوة التي اجروها في هلاكهم بحيث لم يبقَ اليوم اثرٌ لسكانها الاصليين . اما جمهورية هايتي فهي في القسم الغربي من جزيرة سان دومينكو وهذه الجزيرة هي من اكتشافات كولمبوس في سفرتهِ الاولى . وكان الاهالي يدعونها هايتي . اما الاسبانيوليون فدعوها اسبانيولا كما تقدم وبقيت تحت تصرف احكامهم زمنًا طويلاً الى ان اتى الفرنساويون واستولوا على القسم الغربي منها فكانت الجزيرة بالاشتراك بين الامتين . وفي سنة ١٨٠٠ كان قد كثر عدد العبيد في تلك الجزيرة وقوية شوكتهم على ساداتهم فنهضوا لمقاومتهم واستخلصوا من ايديهم الجزيرة . فارسلت فرانسا ٢٠ الف مقاتل لحربهم وقتالهم ووقع بينهم عدة حروب تردَّد النصر فيها بين الطرفين وانتهى الحال بانتصار

العبيد على الفرنساويين وساعدهم على ذلك وقوع الحميّات الخبيثة في جيوش الفرنساويين من الجهة الواحدة ومحاصرة الانكليز لمراكبهم من الجهة الثانية فالتزم ما بقي من الفرنساويين ان يسلموا انفسهم الى العمارة الانكليزية في ٣٠ ت ٢ سنة ١٨٠٣ بعد ان قتل الاهالي منهم ومن الاسبانيوليين عددًا غفيرًا . وحينئذٍ استقل العبيد بانفسهم واقاموا عليهم ملكًا ونظموا لانفسهم قوانين واحكامًا . ثم تبدّلت تلك الترتيبات بجمهورية وهم الآن في تقدم ونجاح وكثيرون منهم من ذوي الادراك والبصيرة . والزراعة عندهم نامية والتجر في تقدم عظيم . اما عدد سكان هذه الجمهورية فيبلغ ٥٧٣ الفًا

واما القسم الشرقي من سان دومينكو فسكانه من الاسبانيوليين وبينهم كثيرون من العبيد . ففي سنة ١٨٢١ نهض العبيد على الحكومة طالبين الاستقلالية ولقبوا البلاد تحت اسم جمهورية هايتي الاسبانيولية . ولكن اذ لم يكن هذا المشروع مقبولاً عند الجميع وكان العبيد والجنس المختلط يرغبون الانضمام الى جمهورية هايتي المتقدم ذكرها نهض الهايتيون لضرب الاسبانيوليين فقلبوا حكومتهم الجديدة واخضعوهم وضموا الجزيرة كلها تحت حكم واحد مدة ٢١ سنة . ولكن لم يكن هذا الاتحاد اتحادًا مخلصًا فانه في سنة ١٨٦٤ نهض الاسبانيوليون وخلعوا عنهم طاعة جمهورية هايتي وقاوموهم واسترجعوا استقلالهم ولم يدعوهم ان يستملكوا عليهم مرةً ثانية . وبعد ان نجح الاسبانيوليين في ردع اعدائهم لقبوا حكومتهم بجمهورية دومينكا واقرّت لهم فيها انكلترا وفرانسا ودنيمارك واجرت معهم عهودًا . ولكن سنة ١٨٦١ بعد ان جرّب الاهالي حكم هذه الجمهورية مدة ١٧ سنة التمسوا من اسبانيا ان تسترجع زمام احكامها فضمتها اليها وهي الآن في يدها وتحسب من املاكها وملحقاتها الخارجية

الفصل الثامن

في اميركا الوسطى

ان اميركا الوسطى هي الاراضي الواقعة في اواسط القارة بين قسميها الكبيرين بحدها شمالاً مكسيكو وخليج مكسيكو . وشرقًا بحر كريبيان . وجنوبًا اميركا الجنوبية . وغربًا الاوقيانوس الباسيفيكي . ومركزها اشبه بمركز استوائي متصلٌ بجميع اطراف العالم لانها فضلاً عن انها توصل اميركا الشمالية باميركا الجنوبية موانيها مفتوحة لاوروبا وافريقية من جهة الشرق ولاسيا وجزائر المحيط من جهة الغرب كما ترى بالامعان الى الخارطة

وتتضمن هذه البلاد ما يتضمنهُ غيرها من الجبال المرتفعة والانهر والبحيرات الكبيرة . وهواؤُها على الاغلب جيدٌ مع انهُ كثير التغير . واهلها يتقنون الزراعة احسن اتقان لان باقي الصنائع مهملة عندهم وليس لهم معول الاَّ على محصولات الارض . اما الديانة العامة فيها فهي الرومانية ووسائط التعليم والتنوير منحصرة في بعض المدن الكبيرة فقط فلا يقال الاَّ انها قليلة وتنقسم هذه البلاد الى خمسة اقسام كبرى وهي

	عدد السكان بوجه التقريب
كواتيمالا	١٠٠٠٠٠٠
سان سلفادور	٥٠٠٠٠٠
هندوراس	٣٥٠٠٠٠
نيكاداكوا	٣٥٠٠٠٠
كوستاريكا	١٥٠٠٠٠
المجموع	٢٢٥٠٠٠٠

واكثر هولاء السكان هم من الهنود الاصليين ومن اجناس مختلطة واما الجنس الابيض فهو قليل بينهم لا يزيد عن ستة في المئة

ولكل من الاقسام المذكورة بلاد واراضٍ واسعة واحكام مستقلة من نوع الحكم الجمهوري له رئيس ومجالس ونظامات تقارب بعضها البعض في الترتيب والاصطلاح . ولكلٍ منها ايضًا قوات عسكرية ونظامات سياسية ومعاملات وعلاقات خارجية ومتجرٌ متوسطٌ ولبعض الدول الاجنبية وكلاء وقناصل في هذه الاقاليم

وكانت هذه البلاد قديمًا عقب اكتشافها تحت تسلط دولة اسبانيا ولكنها انسلخت عنها واستقلت بذاتها كما استقلت باقي البلاد وانفرد اهلها الاسبانيول عن طاعة الدولة ونظموا لهم فيها روابط وضوابط جمهورية سالكين بمقتضاها . وليس لهذه البلاد حوادث تاريخية مهمة تستحق الذكر وجل القصد في التكلم عنها انما هو لاجل معرفة وجودها ومركزها وبيان عدد اهلها واحوالها تتميمًا للفائدة

الفصل التاسع

في الكلام عن اشهر اقسام اميركا الجنوبية

الباب الاول

في وصف اميركا الجنوبية وتعداد بلادها

ان اميركا الجنوبية يحدها شمالاً بحر كريبيان وشرقًا المحيط الاتلانتيكي وغربًا المحيط الباسيفيكي وتتضمن ما تتضمنهُ باقي القارات من الجبال والسهول والانهر والحيوانات . وهي متسعة الاراضي تقارب مساحتها القسم الشمالي من هذه القارة ولكنها كثيرة الاحراش قليلة السكان لا يزيد عدد اهلها عن ٣١ مليونًا من الشعوب والقبائل المختلفة هذا عدا الهنود الذين الى الآن لم يتمدنوا ولم يزالوا في حالة التوحش يجولون بين براريها وصحاريها لانهُ لا يعلم حقيقة عددهم ولكن بحسب الارجحية يبلغون مليون نسمة

اما الجنس السائر بين شعوب اميركا الجنوبية فهو الجنس الابيض الآتي من اوروبا عقب الاكتشاف والجنس المختلط اي الذي اختلط معهُ الاوروبيون بواسطة الزواج . واما السكان الاصليون فليس لهم شيءٌ من السيادة والتسلط . وقد ذكرنا في بداءة القسم الرابع عند الكلام عن جغرافية هذه القارة ان في اميركا الجنوبية اثنتي عشرة دولة منها سلطنة برازيل والبقية جمهوريات صغيرة واذ كان لا يهم التكلم عن كل واحدةٍ من تلك الجمهوريات اقتصرنا على ذكر

بعضهنّ مكتفين بوضع الجدول الآتي ليعلم منهُ اسماء تلك الجمهوريات وقصباتها وعدد شعوبها كما ترى

عدد سكان العاصمة	اسم العاصمة	عدد الشعب بوجه التقريب	اسم المملكة
٢٠٠٠٠٠	ريوجنيرو	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	سلطنة برازيل
٥٠٠٠٠	بوكونا	٢ ٥٠٠ ٠٠٠	بلاد كولومبيا المتحدة (نيوغرانادا)
٨٠٠٠٠	كويتو	١ ٢٠٠ ٠٠٠	جمهورية ايكوادور
٦٠٠٠٠	كاراكاس	١ ٥٦٥ ٠٠٠	" فنزويلا
٢٥٠٠٠	جورج تاون	٢٥٠ ٠٠٠	" كوايانا(١)
٢٥٠٠٠	سوكر	١ ٨٠٠ ٠٠٠	" بوليفيا
١٢٠٠٠٠	ليما	٢ ٣٥٠ ٠٠٠	" پيرو
٨٠٠٠٠	سانتياكو	١ ٦٠٠ ٠٠٠	" شيلي
١٠١٠٠٠	بوَينُس ايريس	١ ٤٠٠ ٠٠٠	"الاتحاد الارجنتيني بما فيهِ بلاد بوينُس ايريس
٤٨٠٠٠	اسونسيون	١ ٢٥٠ ٠٠٠	" باراكواي
٣٨٠٠٠	مونتيڤيديو	٢٤٠ ٠٠٠	" اوركواي
			"پاثاكونيا شرقي جبال انديس

١ تنقسم كوايانا الى ثلاثة اقسام . الاول وهو الاكبر تحت تسلط الانكليز . والثاني يختص بالفلمنكيين ويحكمهُ والٍ منهم . واما الثالث فيتبع فرانسا ويحكمهُ مجلسٌ بلدي تنتخبهُ الاهالي

الباب الثاني

في جمهورية كولومبيا

ان جمهورية كولومبيا المتحدة المعروفة سابقًا باسم نيوغرانادا اي غرناطة الجديدة هي بلاد متسعة ذات اراضٍ فسيحة معظم طولها من الشمال الى الجنوب الف ميل ومن الشرق الى الغرب سبع مئة وستون ميلاً يتبعها عدة جزر صغيرة وخلجان ظريفة ويخترقها جملة جبال وانهر وبحيرات كبيرة وعدد اهلها نحو مليونين ونصف من اجناسٍ مختلفة وفيها نحو مئة وعشرين الفًا من الهنود الاصليين في حالة التوحش والتبربر منتشرين في اطراف البلاد وصحاريها لم يدخلوا في المدن والطاعة . ومما يستحق الذكر هو انهُ سنة ١٨١٠ لم يكن عدد اهالي هذه البلاد اكثر من ثمان مئة الف نسمة فقط . فتكون هذه الزيادة قد تمت في ظرف ستين سنة وهذا مما يدل على حسن البلاد ووجود ما يجذب الناس اليها . وينتظم في سلك هذه الجمهورية ثمانية اقاليم او ايالات مستقلة باحكامها واعمالها ولكنها مرتبطة بعضها ببعض بارتباطٍ عام كارتباط البلاد المتحدة الاميركانية . فكل ولاية من الولايات المذكورة ترسل كل سنة ثلاثة نواب من طرفها فيجتمعون في مدينة بوكوتا العاصمة للمفاوضة والمداولة في الاصلاحات والتراتيب اللازمة . اما رئيس الجمهورية فيكون انتخابهُ باكثرية الصوت على ست سنوات عوض الاربع اما الديانة العامة في كولومبيا فهي الرومانية ولكنهُ ليس للحبر الروماني تسلط على اعمال تلك الكنائس لانها غير خاضعة لهُ والذي يسوسها ويدبر امورها الدينية رئيس اساقفة مدينة بوكوتا . ولم يلتفت في السابق الى تقدم العلوم وتهذيب الاهالي في هذه المملكة واما الان فقد تحسنت احوالهم وتقدموا كثيرًا في

المعارف وانواع الفنون نظرًا لرغبتهم واهتمامهم وعندهم جملة مدارس بسيطة وكلية لتعليم الصنائع المختلفة وباقي العلوم . ويوجد في العاصمة مرصد فلكي لا يوجد له مثيل في العالم في الاتقان والارتفاع. اما تجارة هذه البلاد فلا تذكر لانعكاف الاهالي على الزراعة والصناعة غير المتقنتين ايضًا كما يجب

واول من اكتشف نيوغرانادا كولمبوس في سفرتيه الثالثة والرابعة فسكنها الاسبانيوليون تحت احكام مختلفة ولكنه اخيرًا أُقيم فيها حكمدارية عمومية سنة ١٧٤٣. وكانت اراضيها تمتد على كل ما يعرف اليوم تحت اسم جمهورية بلاد كولومبيا وجمهورية ايكوادور . وفي سنة ١٨١٠ خلع اهلها طاعة الحكومة الاسبانيولية وجاهروا بالعصيان ودامت الحرب بين الطرفين الى سنة ١٨٢٤ حينما انتصر الاهالي ولم يبقَ للعساكر الملكية سبيلٌ للمدافعة . وكان مقدام هذه الثورة ورئيسها رجل يقال له بوليفار كان قد اشار باتحاد ڤنزويلا مع نيوغرانادا وايكوادور فاستحسن الاهالي رايهُ واعتصبوهُ واتحدوا جميعًا وتلقبت الجمهوريات الثلاث بجمهورية كولومبيا . ولكن لم يدم ذلك الاتحاد اكثر من عشر سنين حتى انحل وانسحبت ڤنزويلا سنة ١٨٣٠ وتبعتها ايكوادور وبقيت نيوغرانادا منفردة وحدها مع ولاياتها التابعة لها الى سنة ١٨٦١ حين تحولت تلك الولايات الى بلدان مستقلة وعقدت تحالفًا واتحادًا عامًا تحت اسم بلاد كولومبيا المتحدة

الباب الثالث

في سلطنة برازيل

ان هذه البلاد هي اعظم اقسام اميركا الجنوبية واكبر من البلاد المتحدة مساحةً غير ان جانبًا عظيمًا منها براري واسعة واحراش فسيحة خالية من الانيس

والجليس وعدد اهلها ثمانية ملايين والبعض يبالغون في عددهم ويجعلونهم احد عشر مليونًا. وبينهم قبائل هنود متوحشة وكثيرون من العبيد يستخدمهم الاهالي غالبًا في الزراعة وفي التقاط حجر الماس والياقوت الاصفر من بين رمال انهرها لان هذين المعدنين كثيرا الوجود في تلك البلاد والذهب والفضة لا ينقصان ايضًا. اما الزراعة فقلما يعتني الاهالي بها. وبين احراشها كثيرٌ من الاشجار التي لا توجد في غيرها الاَّ نادرًا كشجر صمغ المرن والماهوكاني والشوكولاتا. اما تجارتها فاغلبها بيد الاجانب. ومن محاصيلها التي ترسل الى الخارج البن والسكر والقطن والخشب والصمغ والماس والياقوت الاصفر. والحكم فيها من نوع الملكي المقيد والديانة الغالبة اللاتينية وعاصمة المملكة مدينة ريوجنيرو واهلها نحو ثلاث مئة الف نفس

اما تاريخ هذه المملكة فحديث كما لا يخفى واول من اكتشفها رجل اسبانيولي يسمى بنسون ولكنهُ نسب اكتشافها الى رجل پورتوغالي ينال له كابرال ذهب اليها سنة ١٥٠٠ فجال في اراضيها وتوغل في صحاريها وقدَّم عنها شرحًا مطولاً لم يكن معروفًا عند احد من الناس. ولم يكن للبورتوغاليين في اول الامر ادنى رغبة ولا اعتناء في برازيل ولم يقصدها احد من الناس الاَّ من كان مجرمًا فينفيهُ الحكم اليها وكان يحسب مفقودًا. وسنة ١٥٤٨ نفى الى برازيل جمهورٌ من اليهود فاخذوا يزرعون قصب السكر ونجحوا فيهِ فصارت تتوارد اليها الناس وتقيم فيها. ولما راى ملك البورتوغال ان البلاد في تقدم ونجاح اراد ان يشترك في مكاسبها وياخذ ما نابهُ من ايراداتها فارسل حاكمًا من طرفهِ ليحكم البلاد ويضرب على اهلها المال. ولما تمكنت احكام البورتوغاليين فيها حسدهم عليها الانكليز والفرنساويون والفلمنكيون والاسبانيوليون وسعوا في استخلاص البلاد منهم فلم يتمكنوا من ذلك لان معاملة البورتوغاليين للاهالي كانت حسنة فكانوا يميلون اليهم. ومع ان الفلمنكيين كانوا قد استولوا على اكثر اطراف البلاد طردهم الاهالي منها واخذ البورتوغاليون مكانهم

ولما هاجم الفرنساويون مملكة البورتوغال في اوروبا سنة ١٨٠٨ هرب ملكها يوحنا السادس الى برازيل واقام فيها ولم تكن بعد تدعى مملكة . وعند ما سقط نابوليون الاول لقب يوحنا المذكور نفسهُ ملك بورتوغال وبرازيل وبقي مقيمًا هناك الى سنة ١٨٢١ حينما حدثت الثورة في مملكتهِ في اوروبا فالتزم ان يذهب الى لبسبون وترك ابنهُ دون بدرو نائبًا مكانهُ . ففي سنة ١٨٢٢ طلب شعب برازيل تحرير البلاد وانفصالها عن بورتوغال فانفصلت ونودي باسم دون بدرو المذكور امبراطورًا واقرَّ لهُ الجميع في ذلك. ولما كانت سنة ١٨٣١ اذ لم يكن الشعب مرتضيًا من سياسة امبراطورهم تنازل دون بدرو عن تاج السلطنة لابنهِ ولصغر سنهِ أُقيم لهُ وكلاء الى سنة ١٨٤٠ حين نودي بامبراطوريتهِ تحت اسم بدرو الثاني وهو المستولي الآن . وقد ابطل مؤخرًا الحكم البرازيلي التجارة بالعبيد من بلادهِ على انهُ لم يزل يوجد من يتعاطاها اما سرًّا او بوجهٍ آخر

الباب الرابع

بلاد بيرو

اما بلاد بيرو فيحدها شمالاً جمهورية ايكوادور وبرازيل وشرقًا بوليفيا وبرازيل ايضًا وجنوبًا احدى ولايات بوليفيا وغربًا المحيط الباسيفيكي. وهي واسعة الاقطار كثيرة الجبال والانهار وعدد سكانها نحو مليونين ونصف ثلثهم من الهنود والثمن من اصل اوروبي والبقية من جنس مختلط وما عدا هولاء يوجد بعض العبيد في السواحل البحرية . وقصبة هذه المملكة مدينة ليما واهلها نحو مئة الف نسمة . وتكثر في هذه البلاد معادن الفضة والذهب والنحاس ولاسيما

الفضة فانهُ من سنة ١٦٤٠ الى الان بلغ قيمة ما أستُخرج منهُ ١٥٠٠ مليون ريال. اما الزراعة فيها فقلما تذكر وتربتها تحتاج الى اتعاب جزيلة واخص محصولاتها السكر والارز والصوف والجلد وبعض اصناف طبية تخرج برسم التجارة . اما نظام الاحكام فهو على النسق الجمهوري والرئيس يُنتخب على ست سنوات. وقوتها البرّية ١٢٠٠٠ جندي والبحرية ١٤ مركبًا تحمل ٧٤ مدفعًا. والديانة الغالبة فيها اللاتينية ووسائط التنوير في داخليتها قليلة

اما تاريخ هذه البلاد فيبتدئ منذ اكتشفها فرنسيس بيزارو سنة ١٥٣١ وهذا الرجل من جملة قواد الاسبانيوليين الذين ذهبوا الى الهند الغربية . وكان في اثناء اقامتهِ هناك قد حصل على بعض معلوميات من جهة هذه المملكة فرجع الى اسبانيا ليطلب الرخصة والوسائط لافتتاح تلك البلاد فاذنت لهُ الحكومة في ذلك ومدَّهُ كورتيز الذي اكتشف مكسيكو بمبلغ من المال ليستعين بهِ على اتمام تجهيزاتهِ . فجهز ثلاث سفن صغيرة وجنَّد مئة وثمانين رجلًا وسافر بهم مع رفيق لهُ يدعى الماكرو. فلما وصل الى بيرو راى تمدن الاهالي وحالتهم العمومية ليستا باحسن حالةٍ من حالة اهالي مكسيكو وراى بينهم انشقاقًا فانهم كانوا منقسمين الى حزبين احدهما مع الملك المستولي والثاني ضدهُ وكانت الحرب قائمة بينهما . فسرَّ بيزارّو من تلك الحالة واظهر بانهُ يريد الانضمام الى حزب الملك ويعينهُ على قتال عدوهِ فقبلهُ الملك وترحب بهِ الجميع وبهذه الوسيلة دخل مع جماعتهِ الى داخل البلاد فصادف حسن الاستقبال ومزيد اللطف والاكرام من الاهالي. ولما تمكن منهم وعرف حقيقة احوالهم غدر بهم فقاتلهم واسر ملكهم وكان اسمهُ اتاباليبا فعرض عليهِ الملك مبلغًا وافرًا من المال ليعتقهُ من الاسر فاخذ منهُ الفدية ثم غدر بهِ وقتلهُ وحارب الاهالي فاخضعهم وجار عليهم جورًا عنيفًا. وسنة ١٥٤١ وقع الخصام بين بيزارّو ورفيقهِ الماكرو المذكور افضى بهما الى القتال فانقسم العسكر بين الاثنين وجرى بينهما عدة وقائع كانت الدائرة بها على الماكرو فقبض عليهِ بيزارّو وقتلهُ . ولكن لم تذهب تلك المعاملة بدون

مجازاة فانهُ بعد تلك الحادثة بيرهة قصيرة اخذ ابن الماكرو بثار ابيهِ اذ وثب على بيزارو وقتلهُ

واستمرت بلاد بيرو تحت تسلط الحكومة الاسبانيولية نحو ثلاث مئة سنة وكانت نامية وناجحة اكثر من باقي البلاد الكائنة في اميركا الجنوبية ولم تنفصل عنها الاَّ سنة ١٨٢١ وذلك بمساعدة جمهوريتي شلي وبوينس آيرس فانهما ارسلتا عسكرًا الى تلك البلاد تحت قيادة الجنرال سان مرتين فحارب الاسبانيوليين وهزمهم ونودي باستقلالية بيرو في ٢٨ تموز من السنة المذكورة . واذ لم يرضخ الاسبانيوليون الى ذلك دام القتال بين الفريقين الى سنة ١٨٢٤ حين حدثت واقعة اياكوشو فانهت النزاع باستقلال البلاد استقلالاً تامًّا وبابعاد الاسبانيوليين ابعادًا نهائيًّا

وسنة ١٨٢٦ وقع بين الحكومة والاهالي خصامٌ ونزاع فاستعانت الحكومة بجمهورية بوليفيا التي في جوارها فاتاها سانتاكروز رئيس الجمهورية المذكورة بجيش من الجنود وضرب العصاة فادخلهم تحت الطاعة . ثم قسم بيرو الى قسمين شمالي وجنوبي وضمها الى بوليفيا واقام ذاتهُ محاميًا لها. غير انهُ في سنة ١٨٣٩ طُرِد المذكور من بيرو وبطلت المعاهدة السالف ذكرها ورجعت كل دولة من بيرو وبوليفيا الى حدودها الاصلية ونظامها الاول ومع كل ذلك لم تتوطد الراحة التامة في بيرو. وكثيرًا ما يتنازعون الرياسة والاحكام الى الان بحيث لم يوجد رئيس من روسائهم مَن اكمل مدة احكامهِ المعينة على التمام بل خلع الجميع عن كراسيهم بدون استثناء قبل نهاية ايامهم . ولكن هذه المنازعات لم تمتد في كل البلاد بل هي منحصرة في العاصمة فقط واحيانًا في جوارها